4417

21A

الزواج في الإسلام

وأزواج النبي محمد عليه الصلاة والسلام

تأليف

أسعد لطفي حسن

كتاب تاريخي ديني اجتماعي

الطبعة الأولى

ثمن النسخة عشرة قروش صاغ

طبع بالمطبعة البهية المصرية سنة ١٣٥٧ هجرية ١٩٣٨ ميلادية

كتاب الزواج فى الاسلام وأزواج النبى عليه الصلاة والسلام

فهرس كتاب الزواج فى الاسلام

صحيفة

كلمـــــة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ (محمد مصطفى المراغى)
شيخ الجامع الأزهر الشريف وشيخ الاسلام

قال حفظه الله وأبقاه :

طالعت بعض صفحات فى مواضع مختلفـة من كتاب « الزواج فى الاسلام » لواضعه الأستاذ أسعد لطفى حسن فأعجبنى أسلوبه ومنحاه والأستاذ أسعد لطفى قوى الايمـان بالدين الاسلامى ومبادئه . كلف بالكشف عن أغراضه القويمة وأسراره ، وهو يستحق جزيل الحمد وعظيم الثناء ، وأسأل الله له توفيقاً متصلا وجزاء من الله صالحا ؟

٢١ إبريل سنة ١٩٣٨ — محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر

كلمـــــــة

حضرة صاحب السعادة الاستاذ الكبير محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ

صديقى العزيز الاستاذ أسعد لطفى حسن

تحية طيبة مباركة وبعد : فانى أشكرك لاهدائى مؤلفك على «الزواج فى الاسلام» وأزواج النبى عليه الصلاة والسلام وهو مؤلف جليل القدر عظيم الفائدة وقد رأيت مؤلفات كثيرة خاض أصحابها فى مسائل الزواج وتبسطوا فى شواربها فلم أجد منها ما يماثل مؤلفكم فى الشرح والابانة مع سهولة فى التعبير وعناية بالمعنى .

ولاشك أن قوة ايمانكم وصفاء قريحتكم واشتغالكم بأمور الدين وحسن تجاربكم كانت السبب المباشر للمباحث الطريفة التى جمعت شتات المسائل الاجتماعية وآراء الباحثين فى العلاقات الزوجية فقد أضاء عليها شعاع من نور الله الذى أفاضه على قلبك وقلوب أمثالك من المؤمنين لكى يهتدى الناس بهديهم ويمشوا على نورهم .

وما أحسن دفاعكم عن حكمة تعدد الزوجات فى الاسلام والجمع بين أكثر من أربعة للنبى الكريم وعن حكمة الطلاق عندنا وهو دفاع واضح الحجة ناصع المحجة يسلم به المنصفون ولايجحده إلا المكابرون . ومع ذلك فان الزمان كفيل بالتقريب بين الاسلام والمسيحية فى الأحكام فان الطلاق

مشروع عندنا ومبينة أحكامه ومسوغاته ويصفه صاحب الشريعة المطهرة بأنه «أبغض الحلال عندالله» .

وهو غير جائز عند المسيحين الا فى حالة واحـدة وهى حالة الزنا على ما أذكر ولكنا نراهم من نصف قرن يقتربون من الاسـلام فى التوسع فى أسباب التفرقة بين الزوجين بحيث أصبح الفارق ضعيفا جدا بين أهل الديانتين وينحصر فى أن سبب الطلاق المشروع عن المسلمين يقدره الزوج ويحاسبه الله عليه وعند المسيحيين يقدره القاضى وأمثلة ذلك كثيرة فى قضايا التفريق التى وصلنا خبرها .

فقد قضى فى نيويورك بالتفريق بين رجل وامرأته لأنه يتعاطى الدخان وهى تكرهه وطلبت اليه الامتناع عنه مراراً ولم يمتنع .

وقد أثبتم بالحجج الدامغة أن زواج النبي بأكثر من أربعة لم يكن لشهوة أو لذة ولكن للتشريع كما حصل مع زينب بنت جحش ومع عائشة بنت أبى بكر . واما تكريمـا لأمهات المؤمنين لحسن بلائهن فى الاسلام واشتراكهن فى الحروب مع أزواجهن وذويهن وفقدان بعولتهن ووجوب المحافظة عليهن من كيد الكائدين لهن إذا تركهن النبي واما لفك أسارهن وعتق رقبتهن مع اسرى الحروب التى شنت غارتها على النبي فكان من ذلك الأثر الطيب فى الاسلام ودخول كثير من العرب فى الدين أفواجا أفواجا فاعتز بهم جانبه وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة غيره هى السفلى .

وكم قدرت مجهودك فى البحث حتى تمكنت من جمع ما يتعلق بنساء النبي واحدة واحدة فى مؤلف واحد وتاريخهن وحوادث زواجه بهن ولعلك

تواصل مجهودك حتى تعرف ذلك الصحابى الذى كان متزوجا بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة سيف الله القاطع خالد بن الوليد فلا يكون للقارىء أمنية حتى تقدموها .

وانى أسأل الله أن يوفقكم لخدمة أمتكم والأخذ بناصر دينكم وان يمنحكم القبول فتفوزون برضوانه بقدر ما تقومون من العمل الصالح ؟

٢٧ ابريل سنة ١٩٣٨ محمود بسيونى

رئيس مجلس الشيوخ

كلمـــــــة

الكاتب القدير صاحب العزة محمد بك فريد وجدى مدير مجلة الأزهر

قال حفظه الله :

لحضرة الأستاذ المفضال أسعد لطفى حسن جولات فى الشؤن الاسلامية دفعته إليها ما كمن فى فؤاده من الحب له ، والغـــيرة عليه ، وأنها لجولات صادقة تثبِّت قلوب الآخذين به ، وتبدد أوهام الواهمين فيه .

ففى كتابه «الاسلام» الذى نشره منـذ خمس سنين بيان شاف لمـاهية هذا الدين الحنيف ، وتدليل قوى على سلامة أصوله من العلل ، وابتناء مبادئه على الحقائق المقررة ، وحملات صادقة على المنحرفين الذى يتجنون عليه بما هو منه براء ، ويلصقون به مثالب ليست منه فى شىء ، تضليلا للناس عن الحق وصرفا لهم عن صراطه السوى «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»

فكان كتابه ذلك حربا عليهم ، وسلاما للمؤمنين .

وقد طالعنا اليوم بكتاب له جديد أسماه «الزواج فى الاسلام» بين فيه ماهية الزواج من حيث هو ، ومذهب الاســلام فيه . فلم يدع شيئا يتصـل بالزوج والزوجة فى البيت ، وبالرجل والمرأة فى المجتمع ، وما يتعلق بكل منهما من حقوق وواجبات إلا أتى به فى قالب من البيان بديع ، ثم جاء ببحث فى تعدد الزوجات وأتى على مايبرره خلقيا ، واقتصاديا واجتماعيا ، وأردفه

بمسألة الطلاق مبيناً كل مايتصل بها ، واستطرد إلى سرد واجبات الأم نحو أولادها .

وختم الكتاب بفصل ممتع فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى بأسماء زوجاته واحدة فواحدة ، مبينا أسباب زواجه بكل منهن ، وهنا كر بحجج ناهضة على أن تعديده صلى الله عليه وسلم للزوجات لم يكن اندفاعا منه وراء شهوة ، ولكن لحكم اجتماعية ظاهرة لمن يتأمل فى ظروف كل منهن ، وقد بين هذه الظروف بتفصيل شاف .

فلا يسعنا نحن أزاء هذه الجهود المتواصلة من الأستاذ أسعد لطفى حسن إلا أن ننوه بفضله ونشيد بذكره ، وندعوالله أن يمده بروح من عنده «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين» ؟

٢١ إبريل سنة ١٩٣٨ — محمد فريد وجدى

مدير مجلة الأزهر

كلمـــــة

حضرة صاحب الفضيلة العالم العامل الشيخ محمدعبد اللطيف دراز مفتش المعاهد الدينية بالأزهر وعضو مجلس النواب المحترم

عزيزى الاستاذ أسعد لطفى حسن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — : وبعد فقد عرفتك منذ عهد تمكنت خلاله من دراسة أخلاقك ، وتحليل خلالك فوجدت أنك رجل دين وخلق وكان ما يلاحظ عليك فى محادثاتك من التدليل بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، مما يقوى عندى ذلك الاعتقاد . الى أن أطلعت على مؤلفك «الاسلام» وراجعته ، فتبين لى بحق انك (أقرب من رجال الدين) إذ جمعت فيه بحوثك القيمة . وسهلت بآرائك المستقيمة ، سبل اطلاع الطالب ، واضطلاع المدرس . ومكنت من تفهم الدين الحنيف بسلاسة وسهولة . وما كانت نفسك تقنع بهذا الأثر الطيب ، والعمل الصالح ، حتى نشرت رسالة «أبى الربيع محمد بن الليث» وهى أبلغ ما كان من الدعاية للاسلام . وهدم أعمال المبشرين . فأبلغت الرسالة للعالم أجمع . وأديت واجبك لدينك . إذ رددت كيد الخائنين فى نحورهم . وأوقفت مضار المبشرين عند حدهم فلك الجزاء الأوفى من الله .

وهاأنت الآن تواصل جهودك وجهادك . فطالعت الناس بكتابك القيم «الزواج فى الاسلام . وأزواج النبى محمد عليه الصلاة والسلام» وفى الحق انه لبحث متشعب الأطراف ولكنك تمكنت من جمع شتاته . وأفضت مع الدقة وحسن العبارة ومتانة التعبير . فى وضعه موضع التقدير . إذ أجدك

استسلمت لصفاء نفسك . وسايرت رقيق شعورك وحسك فنظرت الى الانسانية المعذبة من أهلها. نظرة العارف بأدوائها . المستطيع وصف علاجها ودوائها . وقد ملكت قوة التأثير . ومقدرة التعجيل باستعمال الدواء واستئصال الداء .

ثم حاربت الرذيلة . وعملت فى قهرها بسلاح بتار . أغمدته فى صدور الفجار الأشرار . وكشفت مستور العصاة الآثمين . إذ اندفعت فى شجاعة وثبات لتحليل أعمال ، العهر والخنا والمخادنة ودعوت بالحسنى الى التوبة والانابة . والرجوع الى الله . والعمل بما أمر والابتعاد عما نهاه . وغرضك الذى ترمى اليه . رفع قدر الانسانية . ومكانة البشرية الى ما خلقها الله له .

وقد عرجت على الزواج والسعادة الزوجية ، وأظهرتهما فى دائرة الاعتماد على الله . والاعتداد بالنفس . فى عبارة شيقة طلية ، فكنت كالطبيب الماهر يؤكد لقاصده ضمان الشفاء . حتى يبعد عنه الوهم القاتل . ويقرر له الشفاء العاجل . ليقبل على الحياة آمنا مطمئنا . وفى أسلوب معقول . وبيان مقبول أوضحت ما حدده الدين الحنيف . فى الزواج . وتعدد الزوجات والطلاق . فكشفت عن نبل قصده . وسمو حكمته . ورغبته الشريفة . فى كثرة النسل وتعمير الكون . وقد توخيت الاقناع بالدليل القاطع ، والحجة الواضحة . فى عبارات سهلة يفهمها العامة . ويتذوقها الخاصة . وتبطل أضاليل الأفاكين .

ومن توفيق الله لك ، هذا النداء الذى نشر على الناس خاصا بالمهور . فربما كان مطويا فأبلغته للعمل به ، وهو ذخيرة قيمة ، ونصيحة ثمينة جاءت فى وقتها . اما اراؤك وتخاليك فهى صورة من صفاء نفسك . واخلاصك لبنى

جنسك . فيها ما يدل على انك لاترى فى هذا العالم نجاح أى أمر . الا باتباع أوامر الاسلام . وقد كنت واسع التفكير ، مع الحنكة والخبرة .

وسيجد قراء كتابك مما أوضحته وأملاه عليك إيمانك . وحسن يقينك فى واجبات الأم المسلمة ، ودستور حياتها مع أولادها . بما أسديته اليها من النصائح الحكيمة ، ومارسمته لها من الخطط المدعمة بالرأى السديد . لحفظ كيان الأسرة . وحماية الأبناء . انك لم تترك شاردة ولا واردة فى نواحى التفكير لاصلاح الجماعة إلا أتيت بها ، بروح للخير وثابة ، ونفس آمنة مطمئنة .

أما موقفك الذى وقفت امام موضوع زواج الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفى أزواجه رضوان الله عليهن . وما أوضحته من سمو قصده ونبل غايته . وشريف تصرفاته . وما كان من تضحية النفس ، ونكران الذات بالطاعة المطلقة لمن بعثه رسولا . ومبشراً ونذيراً . فقد سهلت للباحث ، وأقنعت المناقش وأفحمت المجادل . وعملت على نصرة الحق على الباطل وظهرت غايتك التى تبغى . وهى الدعوة الى الاسلام . فأخلصت نيتك . وقويت عزيمتك وكان جزاؤك من الله القبول والتوفيق .

فسلام عليك فى العاملين . وسلام عليك فى الوعاظ والمرشدين . وسلام عليك فيمن آمنوا بيوم الدين . أكثر الله من أمثالك . ومنحك الرضا والقبول لأعمالك واستجاب دعوتك وقوى عزيمتك . فى ظل ركن الاسلام المكين . وإمام المتقين ، وقدوة العاملين المليك التقى الصالح المحبوب «فاروق الأول» . أعز الله به الاسلام وأيده بروح من عنده »

أخوك

القاهرة فى ٨ صفر سنة ١٣٥٧ — محمد عبد اللطيف دراز

مفتش المعاهد الدينية وعضو مجلس النواب

الزواج في الإسلام

وأزواج النبي محمد عليه الصلاة والسلام

تأليف

أسعد لطفي حسن

كتاب تاريخي ديني اجتماعي

ثمن النسخة عشرة قروش صاغ



الطبعة الأولى

المطبعة البهيــة المصرية

١٣٥٧ هجرية ـ ١٩٣٨ ميلادية

الىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين

سيدنا ومولانا

محمد

عليه الصلاة والسلام

الىٰ روحك الطاهرة العظيمة . ونفسك العالية الكريمة . وقد حباك الله واجتباك . وقربك منه واصطفاك . وخاطبك فى كتابه القديم "وإنك لعلى خلق عظيم" فعليك الصلاة والتسليم . وأسأل الله لى وللناس الهداية بهديك . والعمل بما أرسلت به . وما أوضحته فى سنتك وبينته فى شريعتك . وأدعوه جلت قدرته . وعظم شأنه . أن يتولى بعظيم قدرته إصلاح حال المسلمين . وهدايتهم إلى الصراط المستقيم لاعادة مجدهم وعودة عزهم . لأنال معهم شفاعتك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم

صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك فى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحشرنى معكم أجمعين . آمين

العبد الضعيف
أسعد لطفى حسن

خطاب من المؤلف إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ

محمود شلتوت

وكيل كليه الشريعة الاســـلامية

حضرة صاحب الفضيلة والفضل الأستاذ الشيخ **محمود شلتوت**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فقد دفعتنى غيرتكم الدينية ، ونعرتكم الاسلامية، أن أرسو بسفينة مادتى، وما تحمل من جهود فى سبيل نصرة دين الله ، والدعوة إليه ، على شاطئ ساحتكم ، وفيها الوصول إلى بر الأمان ، وفيها الحصول على الهداية والاطمئنان ، ولعلى أجد منكم عناية بأمر تلك السفينة ، بفحص وتمحيص ما بها . حتى إذا مانالت موافقتكم ، وحازت على رضاكم ، وافقتم على السماح لتلك المادة بالانتشار بين الناس ، لتؤدى رسالتى فى الدين إليهم ، وخدمتى للاسلام بينهم ، وقد وجهتها لله خالصة ، وأسأله جلت قدرته قبولها ويهديهم للاقبال عليها !

وإنى يا صاحب الفضيلة ، وقد غمرتنى بفضلك ، ومنحت رسالتى بالكثير من ثمين وقتك ، وعنيت بمراجعتها ، وأصلحت ما كان من خطأ ، وقويت ما صادف من ضعف ، فحفظت قدرها بهمتك ، ورفعت شأنها بعنايتك فجعلتنى مديناً لك بهذا الأثر النافع ، ومثلى ولا أملك إلا قلباً عامراً بالايمان ، وروحا مخلصاً للرحمن ، فأدعوه لك بالخير ، وأسأله

أن يسبغ عليك نعمـة الصحة والعافيـة ، حتى تقوى على الاستمرار فى خدمة الاسلام ، وأن يبعث الله من أندادك أمة تعمل عملك ، وتنحو نحوك، وتقفو أثرك ، فيجدد عهـد العلمـاء الأتقياء المخلصين ، فى عصر الفاروق الزاهر ، فخر المؤمنين ، وإمام العاملين ، أطال الله عمره ، وسدد فى الخير خطواته وفى خدمة الاسلام عزماته ، بجاه خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد عليه الصلاة والتسليم ؟

المخلص
أسعد لطفى حسن

رد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة الاسلامية

صديقى الأستاذ الجليل أسعد لطفى حسن

السلام عليك وعلى أمثالك الغيورين على دين الله، المجاهدين فى سبيله، الذائدين عن تشريعه وأحكامه.

« وبعد » فقد قرأت كتابك الذى جليت فيه أسرار الشريعة الاسلامية فى الزواج ومايتعلق به من القوانين الاسلامية فى بناء الأسرة، ولم يكن هذا الكتاب بأول أثر من آثار الجهود القيمة التى أعرفها لك فى خدمة الاسلام والعمل على نشره، وتصويره تصويراً صحيحاً نقياً بريئاً مما اتصل به من أفكار وآراء دبت إليه فى عصور مظلمة، وفى حين غفلة الرقيب فخالطته، وامتزجت به، وصارت فى أنظار الكثير من أهله — فضلا عن غيرهم — محسوبة عليه، منسوبة إليه ظلماً وبهتاناً.

فقد قرأت لك من قبل هذا كتاب «الاسلام» فألفيته كتاباً عظيم القدر جليل النفع محققاً للغاية التى لأجلها وضع: عرضت فيه لأصول الاسلام وعقائده المتعلقة بالله وملائكته وكتبه وأنبيائه، وعرضت فيه لأمهات الأخلاق الفاضلة التى قررها الاسلام ودعا إليها وحذر من تركها، وربط سعادة الأمم بها، وعرضت فيه للعبادات الأربع، التى طلبها الله من عباده بعد الايمان، تنمية لعقيدتهم، وتزكية لنفوسهم، وتهذيباً لأرواحهم

وترقيقاً لعواطفهم نحو الانسانية التى جاء الدين لاسعادها ، وعرضت فيه بعد هذا كله لشرح الآثارالسيئة التى تلحق الدين ، ويتلظى فى نارها المسلمون إذا هم تركوا عوامل الابتـداع وسمومه القتالة تتحكم فى الدين وأحكام الدين

عرضت قبل هذا فى كتابك «الاسلام» بعبارة سهلة قوية فصيحة ممتعة ، معتمـداً فى جميع بحوثك على آى الذكر الحكيم التى تقرر العقائد ، وتلفت الأنظار وتنبه العقول إلى أسرار الكون الناطقة بوحدانية الخالق وقدسه ، والتى تقرر العبادات ، وتشير إلى ماتغرسه فى نفس المؤمن من خلق كريم وعاطفة سامية ، فجاء كتاباً فريداً فى بابه ، فذاً فى وضعه ، ينتفع به حقاً الطالب والمتعلم ، ويفيد الفقيه والمتفقه ، وهوفوق هذا مثال حسن لمن يريد أن ينتفع بالقرآن ككتاب تشريع وهداية وبيان .

وكثيراً ما تمنيت أن لو أتيح للمشتغلين بدراسة القرآن الكريم أن يجمعوا الآيات الواردة فى كل موضوع على حدة ، وأن يدرسوها دراسة مستقلة عما يتصل بها فى الوضع القرآنى ، ولقد ألفيت فى كتابك «الاسلام» مبدأ لتحقيق هذه الأمنية التى أعتقد أنها من الوسائل القويه القريبة لانتفاع الناس كافة بالقرآن وهديه ، وأرجو أن يوفق الله أمثالك المخلصين للبناء على هذا الأساس الذى وضعته فى كتابك « الاســـــلام » وبذلك يسهل الاسلام فى عرضه وتعلمه ، كما سهل فى أحكامه ومبادئه



أما كتابك الجديد الذى آثرتنى بالاطلاع عليه ، ولمـا تشع شمسه على هذا الوجود ، فهو كتاب محكم فى وضعه قوى فى منطقه ، وجهت فيه أحكام

الشريعة الاسلامية بقواعد الاجتماع الصالحة ، واختبارات الواقع الذى لايجد العقل المستقيم بدأ من النزول عليه والقضاء به .

بحثت فيه العوامل الطبيعية ، التى تقضى بظاهرة الزواج بين بنى الانسان ، وكشفت عن الأضرار الخلقية والاجتماعية ، المادية والأدبية التى تصيب الأمة فى كيانها ، وفى مستقبل أبنائها ، من جراء المخادنة التى تفشت كالمرض الوبى فى جمهرة الأمة وأوساطها . بحثت فيه طبيعة الرجل ، وأنه يعمل وقواه القدرة والجهود ، وطبيعة المرأة وأنها تعمل وقواها الاحساس والشعور ، وأنهما مع هذا يعملان معاً لنشر علم الفضيلة على ربوع الوطن ولكن المرأة تعمل وهى تحمل مع اسمها اسم أبيها أو زوجها ، أو النسبة إلى أسرتها . اختبارات صادقة ووحى حق تلقيته من صفاء نفسك ، وكان بحثا ممتعا ، يفهم الناس به أحكام الشريعة الاسلامية ، والسر فى توزيعها جهود الحياة وثمارها على الرجل والمرأة فلم يفتح الاسلام للرجل باب الطغيان على المرأة ، ولم يعرض المرأة للمهانة والتسخير تحت سلطان الرجل ، ولم يجعلها كما يزعم أعداؤه من سقط المتاع ، بل وضع كلا منهما فى الوضع الذى تقضى به الطبيعة .

على هذا الأسلوب من البحث القوى بحث الاستاذ لطفى شئون الحياة الزوجية ومسألة تعدد الزوجات التى جهل القوم حكمتها الطبيعية ، واتخذوها سلاحا يرمون به الاسلام وشرع الاسلام ، وبين بهذا الاسلوب نفسه الحكمة الموضعية السامية التى أباح الله بها لنبيه صلوات الله عليه أن يتزوج بأكثر مما أباحه لغيره من المسلمين . فتحطمت على صخرة هذا البيان هذه الاسلحة المفلولة التى يوجهها الجاهلون الى الاسلام ونبى الاسلام ، كما بحث مسألة الطلاق وبين

أنه علاج لا بد منه لصفاء الحياة الزوجية ، وسعادة الأسر التى لا تستغنى الأمم عنها فى سعادتها العامة ، وكمالها الانسانى

وإنى أعتقد أن هذه الذخائر النفيسة التى ينشرها على الناس الاستاذ أسعد لطفى من حين إلى آخر فى الاسلام ومزاياه فاتحة عهد جديد يبشر بتضافر القوى العاملة ، والجهود المخلصة ، على إبراز الاسلام فى حلته الحسنة التى صاغه الله بها ، ونسج على منوالها سلفنا الصالح فى تبليغه والارشاد اليه. وسيقف خصوم الاسلام أمام هذا البيان ، وإزاء هذا التضافر حيارى مبهوتين ، مكتوفى الأيدى ، معقودى اللسان ، يلتمسون ميدانا للعمل ، أو مجالا للقول فتضيق بهم السبل ، ويضل عنهم إفكهم القديم ، وتصبح كلمة الحق وعقيدة الحق ذات السلطان النافذة على العقول ، وهكذا وعد الله ولن يخلف الله وعده «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض»

أما أنت ياصديقى أسعد فحسبك من صديقك الذى يقدر لك إخلاصك ، ويعرف نواياك ، أن أضرع إلى الله القوى القدير ، أن يديم عليك إمداده بروح العطف والمحبة ، حتى تصل إلى أقصى ما تسمو اليه نفسك المهذبة ، فى خدمة دينك ، وطاعة مولاك ، وإرشاد أمتك ، وأن يمنحك من عنده حسن القبول والرضا ، حتى يعم النفع بآثارك وجهودك والسلام عليك ورحمة الله ؟

المخلص

محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة الاسلامية

١٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٦ هجرية

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ، وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى »

اللهم اهدنى بهديك ، ووفقنى لطاعتك ، واحشرنى فى زمرة الذين عملوا بأوامرك ، وانتهوا عن نواهيك ، وأرشدنى إلى صراطك المستقيم « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ الضَّالِّينَ . آمين »

اللهم وبلغ عنى نبيك المصطفى ، ورسولك المرتضى ، أنى آمنت برسالته ، وصدقت بنبوته ، وأعمل بسنته ، وأوفى بعهده . فأدعو إلى الايمان واليقين وأشهر سلاح الحق المبين ، رغبة فى رضاك ، وأملا فى فضلك وعفوك ، لأكون فى حماك وكنفك

« رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

وبعد : فهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، وأصبحت

معصية الله فى السر والجهر ، فخوربت الفضيلة وأهدرت دماؤها ،وانتصرت الرذيلة ونشرت أعلامها ، فعم البلاء ، وحل الشقاء ، وانزوى العلماء ، وظهر السفهاء ، وحقت كلمة العذاب على الفجار والأشرار ،والعصاة والمجرمين .

راجت سوق الموبقات ، وفشت المعاصي والمنكرات ، فانتشر الزنا والخنا واللواط ، بسبب الاعراض عن الزواج ، والرغبة عنه ، والميل إلى العنوسة ، والانصراف إليها ، وبات العالم الانسانى مهدداً بخطر الانقراض

ولما كان للمرأة فى الحياة الانسانية العامة شأن معروف ، ومركز خاص هام ، إذ أخرجتنا من الجنة ، وأحرمتنا لذائذ نعيمها ، وأسكنتنا الأرض ، ودفعتنا فى دياجير ويلاتها وشقائها ،وجعلتنا نتخبط فى أطوارها وأدوارها ، فكم أحيت أمما ، وعمرت بلاداً ، وثلت عروشاً ، وخربت ممالك . وللمرأة كذلك قصص وعبر يحفظها التاريخ ، وحوادث تتكرر على ممر الزمان ، أظهرت أنها كانت فى أدوار ذات سطوة وصولة . وفى أوقات كانت مستعبدة مستذلة ، وفى الجاهلية قبل الاسلام كانت كسقط المتاع ، تشرى وتباع ، وفى موقف لاتحمد عليه .

جاء الاسلام وسلطان الجاهلية يمتد رواقه ، والقول الفصل للقوة ، والأمر والنهى للرجل ، والمرأة فى نظره لاشأن لها ولا قيمة . والاسلام دين الفطرة ، أساسه وقوامه التوحيد ، فلما لم يجد أعداؤه فى عقيدته مايؤخذ عليه ، خلوا إلى شياطينهم ، ودبروا حيلهم ، وأحكموا أحابيلهم ، وهاجموه بما لا يستطيعون إقامة دليل على صحته ، أو برهان على حقيقته ، واتهموه بأنه دين الشهوة واللذة وقد عميت بصائرهم عن الحق ، وحادوا عن طريق الصدق

ولم يدركوا دقائق تشريعه ، ولا حكمة مشرعه ، ثم حاربوه فى أدق شىء أحكمه ، وأسس بنيانه ، وأحسن قوامه ، وأفصح بيانه ، وقوى أساسه ، وأقامه على دعائم الحق الناطق ، ووضعه فى الطريق القويم . فاتخذ كثير منهم مسائل تعدد الزوجات ، والطلاق ، سلاحا يحاربونه به ، وتغالوا فى اتهامه بما هو براء منه ، والاسلام فى جميع نظمه قد رفع مستوى المرأة ، وحفظ لها حقوقها كاملة غير منقوصة ، وصان لها كرامة الزوجة ، ومكانة الأم ، ومركز العامل الثانى على عمران الكون .

لهذا رأيت أن أبين للناس مايهدى الضال إلى الصراط السوى المستقيم ، ويرشد الباحث إلى الرأى الحق السديد الحكيم ، إحقاقا للحق ، وإزهاقا للباطل ، لاأرجو إلا المثوبة من الله ، والعمل بما يكسبنى عفوه ورضاه « إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ »

أريد الدعوة للحق ، وأدعو إلى الاسلام ، بكل سهل ومعقول ، لأنه دين الفطرة ، ليس فى نصوصه وأوامره خفى أومعمى ، يدرك فضله كل من حارب هوى نفسه ، ويعلم حقيقة أمره ، كل من يدرس أمره ونهيه ، فيجد أنه دين الفضيلة ، ولم ينه دين عن الفضيلة قبله . دين التقوى ، ولم يأمر دين آخر بالرغبة عنها . دين العفة والشرف ، دين العزة والشمم . فكل من يرغب عنه فقد رغب عن كل ذلك ، وأساس الفضيلة هو الابتعاد عن الدنايا والنقائص ، وشر النقائص وآخرها هو اعتداء الانسان على بنى جنسه ، واستباحة المنكر والبغى بين أهله ، ومخالفة النواميس والأوامر المشروعة

والرجل والمرأة ، وهما قوام الحياة الانسانية ، فهما كعاملى الكهرباء. السالب والموجب ، لانفع لأحدهما ، ولا أثر له ، إلا باتصاله بالآخر ، ولافائدة لكليهما إلابذلك الاتصال . الذى إذا تم حسب أصوله وقواعده : أثمر وظهر ضوؤه منيراً ، أو قوته فعالة تستخدم فى إدارة مايرادمنها ، فينتفع الناس من هذه النتائج الحسنة .

أما إذا فسد اتصال الرجل بالمرأة فتكون النتيجة كالكهرباء أيضاً لاينتج الاتصال الغير فنى مايرجى من ضوء أو قوة ، وتسوء العاقبة ، ويمتد ضررها إلى كل قريب منهافيفسده ؛ وتكون شراً ووبالا عليه .

وهكذا كانت مشيئة الله ، وأثبت الماضى كله ، وأكدت التجارب أن كل شىء أسس على التقوى دام ورسخت عماده ، وكلما أسس على غيرها دال وانهارت أسسه ، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والرجل والمرأة وقد ثبت أنهما قوام العمران ، والحياة الانسانية فوصلهما ببعضهما واجب ومفروض ، وقد شرع الله جلت قدرته هذا الوصل منذ الخليقة ، وجاءت جميع الشرائع والأديان بالقواعد والدساتير المنظمة لذلك ، وحرصت كلها على حفظ البشرية بتناسل الانسان والاكثار من الخلائق ، غير أن خطراً داهماً يهدد كيان العالم ، وينذر بخرابه ، وهو إعراض الشباب عن الزواج ، والرغبة فى العزوبة ؛ وهذا مما سيؤدى حتما إلى انقراض الانسان ومحو وجوده ، وفى ذلك فناء العالم ، وقد وضع الشباب لذلك من المعاذير الكاذبة ، والأوهام والخيالات الواهية ، على غير

أساس أو دليل ، ولم يتدبروا عواقب تصرفهم هذا وما سيكون من ورائها من أخطار ومضار .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، فالانسان يحارب نفسه وأبناء جنسه في كثير من النواحي ، ويتغافل عن اندفاعه وتهوره ، وما سيجلبه لأبناء الانسانية ، وماسيجره عليهم من الويلات . فهو منذ أوجده الله جاد في محاربة أخيه يواصل ليله بنهاره في ابتكار عدة القتال ووسائل الحروب ، لا يكل عن اختراع المهلكات والمدمرات ، ولا يقنع بما تفعله من نكبات ومصائب ، ويفاخر بخلق المخترعات الجهنمية للاجهاز على فصيلته ، والتعجيل بانقراضها ، ويتلذذ بسماع ماتحصده من الأرواح ، وما تقوم به من إزهاق الأنفس .

وعجيب جداً . أن يقابل الناس هؤلاء المخترعين بالاعجاب والتكريم ، ولم ينظروا إلى ما كان منهم ، ولكن هذه سنة الخلق «الحق في جانب القوة» فيكرمونهم ، ويشيدون بذكرهم ، ويحتفلون بذكراهم ، ويقدسونهم ، فيتنافس المخترعون والمبتكرون ، وكل يوم هم في شؤون لايجاد ماهو أشد وأنكى للدمار وإهلاك الانسان .

لقد بلغ الأمر أقصى الخطورة ، وأصبح الانسان محارباً في مأكله ومشربه ، وفي مأواه ومسكنه ، وفي الهواء الذي يتنسمه ، وصار مهدداً أينما يكون في البر والبحر والسماء ، وفي كل حركة وسكون ، وامتد التهديد إلى الأموات في قبورهم ، إذ سوف تبعثر عظامهم ، وتخرب مراقدهم ، مما سيلقى عليهم من قنابل ومدمرات

هذه حقائق لا يمكن إنكارها ، والانسان لا يقف عند حد اختراع لهذه المدمرات . من رصاص مسموم «دمدم» وغازات خانقة وسامة ، والديناميت والميلينت ، والمدافع البعيدة المرمى ، والدبابات ، والطائرات ، والغواصات والمدمرات ، والطرادات ، وماسوى ذلك مما يكاد لا يحصره العدد . وكله يفتك بالانسان فتكا ذريعاً ، ويهدد الآمنين ، ويرمل النساء وييتم الأطفال ويحرم الوالدين فلذات أكبادهم ، فضلا عن خراب الممالك ، وتدمير البلاد وإفناء القبائل والعشائر والأمم .

الانسان بلغ من الجبروت والطغيان أن ينسى أخاه الانسان ، فيعمل كل ذلك لاهلاكه

والطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، أن طعمة الحروب ، ووقود نيرانها هم زهرة شباب الأمم المتحاربة اذأنه إذا أذن مؤذن الحرب ، ونادى باعلانها تجمع صفوة الأقوياء ، ونخبة الأصحاء ، من الفتيان الأشداء ، ويقذف بهم فى ميادين القتال ، ويدفع بهم إلى الموت حتى ولو كانت الحرب ثمرة مشادة بين أفراد قلائل لم يملكوا كبح جماح شهواتهم وهم من فريقين يتقاتلان ردحا من الزمن ، ويقضيان طوال الأيام فى التدمير والتخريب ، ثم يعودان والنصر يدفع بصاحبه إلى التهور ، والخذلان يخلق فى نفس من أصيب به الاستكانة مع الاصرار على الأخذ بالثار ؛ وهكذا تفنى الأمم ، وتضمحل الانسانية . ثم تكون النتيجة أن من أدى رسالته من المقاتلين ، ونجا من الموت ، وأمات كثيراً من محاربيه من أبناء جنسه من البشر ، فقد نال الشرف وتحلى بأوسمة الفخار . ومتى وضعت الحرب أوزارها ، وقد أدمت قلوب

البشرية بضحاياها ، ومشوهيها وأيتامهـا وأراملها ، وقد قضت على زهرة الشباب ، وأفنت رجال المستقبل ، وخلفت الأرامل وقد فقـدن عائليهن . فيترتب على ذلك اضطراب حياتهن ، وما يعقب ذلك من التطورات فى أخلاقهن ، كذلك الحال فى الأبناء من فتيان وفتيات ، وآباء وأمهات ، وقد حرموا المعين والنصير ، وأصبحوا والفاقة والفقر والجوع يعرضهم إلى أشد الأخطار ، وأضر المواقف ، وما يكون من وراء ذلك من المفاسد والشرور فضلا عما يصيب المشوهين من آلام مبرحة ، وأسـقام تلازمهم إلى القبر ، وتحرمهم لذائذ الحيـاة ، وتورثهم أمراضاً قد تـكون ذات حالات موبوءة تنشر عدواها بين الأصحاء

هذا قليـل جداً من نتائج الحروب وآثارها من الخراب والدمار . والانسان وهو العاقل المثقف الحـكيم لا يفطن لها ، ولا يخلو بنفسه الجموحة ليوقفها عند حدها ، ويقى أخاه شر إيذائها ، ولـكن شهوة الشهرة ، ونعرة الفخار تلهيانه عن أن يثوب إلى رشده ، مادام يتأكد أنه سيكلل رأسه بتيجان الفخار وتعقد له أكاليل الغار ، ويحفظ له التاريخ فى طيات الحوادث ذكراً عاطراً يتكرر بحمده والثناء عليه ، ويسجل له موقفاً محموداً بين أصحاب الأعمال النافعة المفيدة ، وعلى رأس قائمة المبتـكرين المخترعين

زاد على ذلك محاربة الانسان لأخيه فى القوت والمعيشة ، فهو يجد ويجتهد فى اختراع الآلات التى تغنى عن استخدام الأيدى البشرية للانسان لا إشفاقا عليه ، ولا رحمة به ، بل كفاية عنه ، وزهداً فيه ، وحباً فى الاقتصاد ورغبة فى جمع المـال وتـكديسه . فقـد أوجد للزراعة ، والصـناعة ،

والنجارة ، ولجميع مرافق الحيـاة : ماسبب الاستغناء عن تلك الأيدى ؛ وأكثر العاطلين ، وهيأأسباب الفقر والفاقة والجوع للعاملين ، ومن وراءهم ممن يعولون من آباء شيوخ ، وأمهات كبار ، وأزواج وأولاد

هنا أرجو معذرة إذ أخشى أن أرمى بعـداوة الابتكار والاختراع وأنا أندب حظ الانسان وأنشد أن يهتم بأمره ، ويشرك عند التفكير فيما ذكرت ببعض من النظر فى عواقب ماسيؤل إليـه الأمر : وهو قوام هـذا العالم وأساس عمرانه . وقد وجد بين الجمـاعات من يرحم الحيوان ، ويشفق عليه ويرفق به . بل قد بلغ الأمر بالسراةوالأغنياء أن يقتنوا الكثير منهويعنوا بأمره ، ويوصوا به خيراً بعد موته ، ورصدوا له الأموال للانفاق عليه

وعلى الضد فقد تغالى الانسان فى انكار أخيه ، والسعىإلى تحقيرهوإذلاله إذ أعمل جهده فى التفكير ، وتعمق فى التـدبير ، وبلغ به السعى إلى سلوك مسلك وحشى دنىء ، وهداه شيطان تفكيره إلى اختراع المخـدرات ، وهى أشد فتكا من الحروب والأمراض . وصار يتفنن فى أنواعها ،وتجديد أشكالها ، ممـا يفسد الناس فى دينهم ودنيـاهم ، ويذهب العقول ، ويعـدم النفوس . ومايرفع قدر الحيوان عن الانسان . بل يكون الحيوان أعلا مرتبة منه ، لأن الحيوان يسير سـيرته الطبيعية محافظاً على كيان نفسه ، والانسان يتدهور فى حمأة الفساد والضلال ، فيصبح كالجماد لايعى مايفعل . ولايدرك مايقول . ولايقـــدر عاقبة تصرفاته ، وغاية أمره ، ولايتدبر الهـاوية التى يعدها لنفسه ، ويحفرها بيده

يتفنن الانسان فى أنواع المخدرات ، ولو كان لهـا بعض النفع أو قليله

لهـان الأمر ، ولـكنها الهلاك المحتوم ، والفنـاء العاجل ، تدفع بمتعاطيها المسكين إلى الضعف والفتور والذبول ، والذلة والمسكنة ، وتبدل الجميل الخلق بالوحشى ، والحسن الخلقة بالدميم ، والطيب المعاشرة بالذميم

فـكيف بالمخترع يتلذذ باعداد هذه الهاوية لأخيه الانسان الذى يتأكد أنه بمجرد الوصول إلى مخترعه يتسلم بيده حكم الاعدام عليه . وليت هذه النتائج تؤدى إلى الاعدام السريع ، بل يعـانى متعاطى المخـدرات : آلاما مبرحة فى جسمه ، وأمراضاً مزمنـة تقض من مضجعه ، وتهدم فى كيانه حتى تلفظه الانسانية ، ويتبرأ منه أقرب الناس إليه ، ويصبح مرذولا ممقوتاً شريداً طريداً . كل ذلك يدركه مخترع المخدرات ، ولـكن قسا قلبه ، وأعمـاه جشـعه وطمعه ، فيتناسى كل مايصيب به أخاه ، فويل للانسان من أخيه الانسان ، وويل من المـال الذى يعمى القلوب والبصائر

هذه الـكوارث كلها هى عوامل الفنـاء والخراب والدمار ، وليست خاصة بأمة دون غيرها . بل هى عالمية ، اندلع لهيبها فى أرجاء العالم . ومس شررها جميع الأمم ، وعم ضررها معظم المخلوقات . وأصبحت الحال أحرج ما يكون . والانسان فى أشد الحاجة إلى الاهتمام بأمره والنظر فى عاقبة مصيره

فاذا استمر الحال على هذا المنوال، انقرض الانسان وعفى أثره . والامم والدول والممالك لاقيمة لها إلا بوفرة عدد أهلها ، وقد ضاعفت الرغبة عن الزواج الضرر ، وقربت الخطر ، والميل إلى العزوبة هو مبعث الخطر الداهم ، والضرر الدائم ، فأنجع العلاجات . وأنفع الاجراءات . فى الدعوة إلى الزواج واهتمام الحكومات والزعماء والقادة لوضع القوانين وتحديد العقوبات

الصارمة والغرامات القاسية لمنع العزوبة ، ولاستمرار الانسان فى الطريق القويم التى كانت سبب عمران الكون

الزواج

الزواج هو الوثاق الذى يربط قلبى المرأة والرجل ، ويجمع بينهما برباط المحبة والألفة ، ويوحد بين روحيهما بما تعجز الافهام عن تحديده وتكييفه ، ويسمح لهما باتصال جسديهما ، واختلاطهما اختلاطاً تقف الأقلام عن وصفه وتعريفه . فهو روحى نفسانى جسمانى يجمع العوامل لفهمه وإدراكه . لان الانسان إذا رجع إلى خلقته وتكوينه ، وآمن بما عرف من تصرفات الله العزيز القدير فى خلقته وفطرته ، وتحقق أن خالقه أوجد منه رفيقة حياته ، وخلق من أحد ضلوعه زوجته وأليفته ، وهو من غير زواج لابد يشعر بنقص لايمكن استكماله إلابضم التى خلقها الله منه إليه ولايدرك متاع الحياة إلا برجوع ذلك الضلع إلى مكانه ، وأكبر الأمثلة ، وأعظم البراهين . أن آدم أب البشر خلقه الله وحيداً فى الجنة . سعيداً فى الخلدفيها ، ممتعاً بخيراتها ونعيمها ، بعيداً عن بلاء الحياة الدنيا وشقائها ، ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً مذكوراً بجوار متاعه بحواء . بعد أن خلقها الله من ضلعه وضمها إليه . ومع أنها أشارت عليه بالاقتراب من الشجرة . فخالف ربه وأكل الثمرة وخرجا من الجنة ، وحرما من ثمارها . ولما تاب

وأناب : عوضهما الله حلاوة الأبناء ، ولو ذاقا فى سبيلهم كل بلاء وشقاء .

والزواج نتيجة حتمية للانسانيـة ، وقد سنته جميع الشرائع السماوية ، وكان سبب عمران الكون . ولم تنكره أى طائفة أوأمة . ومهما كان له من طرق ومراسيم ، فنهايته واحدة وهى الجمع بين شطرى الانسانية

وقد شرعته الديانات العامة ، وسنت نواميسه :—

فشريعة سيدنا موسى عليه السلام شريعة بنى إسرائيل «اليهود» شرعت الزواج . وسمحت بتعدد الزوجات والطلاق قبل المسيحية والاسلام

وشريعة سيدنا عيسى عليه السلام شريعة المسيحيين «النصارى» شرعت الزواج ، وحرمت تعدد الزوجات ، ولم تسمح بالطلاق إلا بسبب أو علة

وشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شريعة المسلمين شرعت الزواج وسمحت بالطلاق وبتعـدد الزوجات ، وكان ذلك شائعاً بين العرب قبل الاسلام

أى أن شريعة سيدنا موسى ، وهى قبل شريعة سيدنا عيسى وسـيدنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام : سمحت بالزواج ، وبتعـدد الزوجات ، وبالطلاق فلم تـكن شريعة المسـلمين وحدها التى سنت ذلك . وبذلك تبطل حجة المضللين الذين يتهمون الاسلام بأنه تفرد بما كان فى تشريعه لأنه دين الشهوة واللذة « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »

أما وقد أجمعت الأديان السماوية والشرائع الالهية على إباحة الزواج وجعلته من أول مقومات الحياة البشرية الانسانية ، وفيه الخير كله بسبب الترفع

عن الدنايا ، وارتكاب المعاصى والخطايا ، وجاء الاسلام آخر هذه الأديان فلم ينزل من عند الله كتاب بعد القرآن ، ولم يبعث نبى بعد نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد أرسل لدعوة الناس كافة لتوحيد الله وعبادته جل شأنه ولم يأت نبى قبله بغير ذلك . فهو لم يشذ كذلك فى شريعته عما كان من النواميس المدعمة للفضيلة والهداية . ولذلك كان فيما سنه الاسلام خاصاً بالزواج : التمسك بتلابيب الفضيلة ، والعصمة من الوقوع فى شرور الوثنية وأرجاس الجاهلية . فأسسه على مايدعم الحياة الزوجية ويقوى بنيانها رغبة فى التناسل وخدمة الانسانية ، والتعفف والعصمة من الزلل ، والوقوع فى دياجير ظلمات المنكرات والفواحش والآثام ، وغاية ذلك كله رفع مرتبة الانسان ، وتعظيم قدره عن الحيوان .

ومن شر المصائب والبلايا ، أن كثيرا من غير المسلمين — وهم يجهلون أوامر الدين الاسلامى ونواميسه وتشريعه فى الزواج — يرمونه بما تمليه عليهم حفائظهم ، ومايدعوهم إلى عدم التزحزح عنه : بغضهم وكرههم دون أن يعملوا لبحثه ودراسته ليدركوا مراميه السامية ، ومقاصده النبيلة ، ويتعرفوا قواعده وأوامره فى الزواج وتعدد الزوجات .

فأتقدم برسالتى وأدعو الناس تحت لواء الاسلام أن يؤمنوا بالله ورسوله وأذكرهم بما جاء فى القرآن الكريم على لسان ذلك النبى الأمين :

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَاأَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءً، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً، وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ، وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً، وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا ماطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَّا تَعُولُوا »

وبقوله جل وعلا : —

« يَاأَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » يريد الله أن يبين للناس أنه جعل تقواه وخشية عقابه فى الزواج، وأنه تفضل على الانسان فخلق منه زوجه، وخلق منهما رجالا كثيراً ونساء، وجعل أفضلهم وأكرمهم عنده جلت قدرته أتقاهم وأخوفهم من عذابه. وكرر ذكر تقواه وشدة رقابته، ويقظته لصون الأرحام، وقد أثبت للناس قدرته بأن كون من زواج هذا الذكر وهو آدم

أب البشر . ومن الأنثى وهى حواء شعوباً وقبائل من يوم الخليقة إلى يوم القيامة ليتعارفوا ويعمر الكون بنسلهم وأن الحظوة الكبرى للمتقين ، وهذا أكبر برهان على فضل الزواج

والزواج فوق أنه دعامة الفضيلة ، ومدعاة رضى الخلاق العظيم ، ووسيلة تقواه . فهو حافظ الأنساب ومانعها من الاضطراب ، وجامع قلوب الوالدين والأبناء والأحفاد والأقرباء والأنسباء ، والرباط القوى بين أفئدة الوالدين ، والمؤلف بينهما وبين أبنائهما ، والمدعم للشعور الوجدانى ، وتقدير مسئولية الأفراد ، وسبب المحافظة على حقوق الجميع . كما أنه هو الحياة الجامعة لأسباب السعادة ، فالرجال لا يستطيعون الحياة بغير النساء . كما أن النساء خلقن من الرجال وللرجال ، فمن عمل على الجمع بينهما فقد سار على سنة الله فى خلقه ، ومن عمل على التفريق بينهما . فقد خالف ربه ، وعمل على غضبه وهو مخرب للكون ، مدمر للانسانية ، عامل على فناء العالم وسرعة انقراض الحياة الانسانية

بذلك تصبح الرغبة عن الزواج من أكبر الآثام وأعظم الأوزار . كما أنه قد تسبب عنها أكبر المشكلات المعقدة . التى لها أثر فعال فى كيان الأمم وحياة الممالك والدول ، حيث لا تقوى أمة الا بكثرة عدد أبنائها ، ويشتد ساعدها بهم ، وتعتمد عليهم . وهاهى الأمم التى فشت فيها العزوبة ، تنذرها قلة الرجال بالفناء العاجل بعد أن قل إنتاج أهلها ، وندر نسلهم . ومهما ملكت من قوة العدد ، وكثرة المخترعات والآلات لا يغنيها ذلك عن سواعد الرجال ، وعلى النقيض فان الممالك التى تيقظ مفكروها ، وتنبه زعماؤها .

ونظروا إلى عواقب الأمور ، وتدبروا المستقبل بنظرات بعيدة . فشجعوا أصحاب النسل المتكاثر ، وعاونوهم لاعداد أبنائهم لمهمات بلادهم وملماتها ، وحاربوا العزوبة . فكثر عدد الرجال ؛ واعتمدت على قواهم واشتدت عزائمها ، وقويت شوكتها ؛ وتبوأت المقام الأول بين الأمم

ومن يراجع تعداد الأنفس فى جميع الأمم والشعوب والممالك يتأكد أن عدد النساء آخذ فى الازدياد عن عدد الرجال ، وقاربت الأمم — التى رغب شبابها عن الزواج — أن يتضاعف عدد النساء فيها عن عدد الرجال وقد خلق الرجال للكد والجد والعمل والكفاح ، فاذا انقطعوا لأداء واجباتهم وانصرفوا لأعمالهم ، ولم يوجد من يهتم بشؤونهم ومعونتهم . والقيام بحاجياتهم فى معيشتهم ومأكلهم ومشربهم وما سوى ذلك . فانهم بلاشك سيعجزون عن الاستمرار ثم يضعفون ويستكينون . ولو امتنعوا عن الزواج لانقرض نسلهم ، ولم يوجد من يخلفهم من بعدهم ، ويسد فراغهم بعد موتهم . وهكذا تنتهى الحياة العامة وتقف حركة الكون وتحين ساعة الحياة الآخرة

هذه هى حكمة الزواج وهى مصداق الحكمة المأثورة فى قول الرسول الكريم «تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا فَانِّى مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فالغاية من الزواج فى الاسلام هى كثرة النسل ونشر الفضيلة ، كما يقول عليه الصلاة والسلام «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللّٰهَ فِى الشَّطْرِ الْآخَرِ»

وان خفيت هذه الحكمة عن أعداء الاسلام فتحدثوا بغيرها فسببه جهلهم لما وضعه الاسلام من النظم والقواعد التى أحاطها بما يؤدى إلى تنفيذها بالشدة والدقة ، والحرص على المصلحة العامة . وأهم ما كان فيها ما هو خاص

بحماية حقوق المرأة وصونها، والمحافظة عليها، فقد شرع الاسلام فى كل خطوات الزواج . من الخطوبة أى عند اختيار الزوجة ، والصداق ، وما يكون من أثاث ومتاع ، والمعاشرة ، وفى الحمل ، والولادة ، والرضاع، وفى النفاس والفطام ، وفى التوريث والطلاق ما يؤكد أنه أشد الأديان اهتماما بحقوق المرأة ، ولها فى صفحات التاريخ الاسلامى مايجعل الجاحدين بفضل الاسلام يخرون سجداً أمام عظمة تشريعه

ويكفى دليلا على صيانة حقوق المرأة والغيرة عليها ، أن حافظ على عرضها ، وطالبها بصونه ولذا يقول الله جل وعلا :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ »

ثم يقول وهو أصدق القائلين :

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا

رَأفةٌ فى دِينِ اللهِ إنْ كُنْتُم تُؤْمِنُونَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ. الزَّانى لاَ يَنْكِحُ الاَّ زَانيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانيَةُ لاَ يَنكِحُها إلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ »

هكذا يحوط الاسلام الزوجين بسياج لا يستطيع أحدهما أن يتسرب منه، أو ينقص الآخر أى شىء من حقوقه قبله، بل يشتد فى العقوبة على من أجرم منهما وخان رفيقه، وهذه عنايته بالمرأة ألا تكون فريسة الظن أو الافتراء، فلا يتحفز الرجل لرمى زوجه جزافا إذا أدرك غاية العقاب القاسى الذى سيناله وعلم ما سيكون نصيبه إذا أساء إليها، كما أنه جل وعلا ينذرها بدورها بالجلد، وهو العقوبة التى لم يعامل بها القاتل الذى جعل عقابه القتل، وأما الجلد فهو العذاب القاتل الذى يعانيه مرتكب الزنا. كل هذا صوناً للاعراض ومحافظة على العفة وعزة النفس والشمم، وتمسكا بالفضيلة حتى يأتى النسل بريئاً من الدنس، حافظاً لنسب أهله، وتتكون العائلات والأمم والممالك من أرواح شريفة تقدر معنى وجودها فى الحيـــاة، والصالح لا يأتى إلا من النبت الصالح

وما دام الزواج هو نتيجة التقاء عضوى التناسل عند المرء وزوجه فلا بد أن يكون هذا الالتقاء بعد تمحيص وتدقيق فى تكافؤ الجاه والحسب، والمال والقوة، والصحة. والحياة العائلية والبيتية والأوساط، حتى تكون نتيجة مرضية، وعنوان هذا التكافؤ: تضامن الزوجين فى السراء والضراء، وتعاونهما على الدهر وحوادث الزمان. لذا يجب أن يحرصا على هذه الحياة الشريفة

ولا يفرطا فى تطهيرها دائماً من أدران الجهل وعواقب الطيش والجنون ، وقد يستبيح بعض الأزواج لنفسه التقاء غريباً غير مشروع بأن يأتى عملية الزواج مع غير زوجه، ويتغافل عن أساس الزواج والغرض منه والغاية المقصودة ، وهى التناسل فيعتدى على عرض غير مباح له ، ويباشر عملا من أعمال الجاهلية والتوحش ، ويتناسى أن العرض المعتدى عليه ربما كان لمن يمت له بصلة ولو عن طريق المعرفة أو الصداقة . وأنه بعمله الفاسد قد ارتكب أفظع وأضر المنكرات والموبقات ، وبهذا العمل المعيب الذى يتم تحت تأثير الشيطان وغوايته ، وبعوامل الشهوة البهيمية وبغير رباط الزوجية ، فلا يفرق بين أهله والحيوان الأعجم ؛ ويكون كل من الآثمين : الذكر والأنثى مباحا لأى إنسان آخر ذكراً وأنثى . ولئن أثمر هذا الالتقاء المعيب ؛ فسيكون هذا النبت الفاسد سبب اضطرابهما ، ومعرة لكليهما ، تتحمل المرأة أفظع الآلام النفسانية . لبروز ذلك الأثر الفاضح وظهوره عليها خاصة ، ثم تتبدل الخيالات الاثم الى التدبير والتفكير للتخلص ممن أجرما فأوجداه ، ويعملان جهدهما لتدبير الوسائل على عدم نسبته إليهما وبراءتهما منه ، وفى معظم الأحيان يدفع بهما التورط إلى ارتكاب أفظع الجرائم ، وأشنع الآثام ، فقد يتفقان على وأده قبل أوانه ، أوقتله بعد ولادته ، أو إلقائه فى الأزقة والطرقات تتلقفه الصدف والأقدار ؛ وهذه هى نتيجة من لا يتدبر حكمة التشريع فى الزواج ويظن أن الغاية منه المباشرة أو الالتقاء الشهوانى فقط كما أنها دليل مقنع على أن رابطة الزواج أشرف وأعز من كل رباط غير شريف ، وأن تلك الخيالات التى يتخيلها المعرضون عنه هى تدابير شيطانية ، وهواجس لا يصح أن

يستسلم لهـا الانسان العاقل الشريف

والرجل والمرأة اللذان يسمحان لأنفسهما بالالتقاء المعيب غير المشروع يكونان كالسلع المعروضة . فى مقدور كل إنسان الحصول عليها ، وهما يندفعان فى طريق الشهوة واللذة البهيمية ، ويتغافلان عن العنمة والشمم والشرف والكرامة ، ولا يجهلان أن قد تجمع الصدفه بين سليم معافى من الأمراض الفتاكة ، ومريضة عبثت بهـا ميكروبات الأمراض المعدية فتلقحه بجراثيم أمراضها ، وتنفشى فى جسمه الصحيح ، ثم ينقل ما ناله منها إلى غيرها ومنها إلى غيره ويصبحان كالوباء الفتاك ، يهلك كل من يقع فى أجوائه ، وقد يدفع الجهل بعضاً من الأزواج إلى سلوك هذا المسلك الخشن ؛ فتتضاعف الأوزار والأضرار ، وتتفشى الأمراض ، وتنتقل الجراثيم وعدواها الى الأبناء الأبرياء ويتوارثها الاحفاد إلى أحقاب متتالية والعياذ بالله

أفلا يتذكر المعرضون عن الزواج هذه العواقب ، ويتدبرون مصير الفساد ، ثم يرجعون بأنفسهم إلى ما كان من أمرهم ؛ وربمـا قد وجدوا من أبوين فقيرين لا موازنة بين حالها وبين ما فيه هؤلاء المعرضون وقد شاءت إرادة الله بمـا استطاع به الوالدان قدر تربيتهم وتعليمهم فأوجدوهم فى المجتمع الانسانى بما هم عليـه ؟؟؟

بحث الكثيرون علة ذلك الاعراض فكانت نتيجة معظم المباحث : المـادة والطمع وحب الظهور ، والخروج عن المألوف ؛ ونسى الجميع أن المـال والجمـال عرضان زائلان ، فبثرة صغيرة تذهب جمال الوجه الصبوح ؛ والمـال صديق لا أمان له يختفى وقت القدر فالأولى الاعتماد على الله والاعتداد

بالنفس ، والتبصر وحسن التدبير والسير فى محدود المعقول

فالاعراض عن الزواج مخالفة لأمر الله ،وخروج على سنة رسوله ،وسبب فى جلب المصائب والمحن ، وداعية إلى انقراض الانسانية ، وتفشى المنكرات والموبقات ، وانتشار جراثيم الامراض المعدية القتالة ، وانتصار الرذيلة على الفضيلة ، ولكى أقوم بواجبي أجد فرضاً على ولزاماً فى عنق أن أقدم تجاربي فى هذا الموضوع ورأيى فى الفتى والفتاة ؛ وأعمل جهدى فى شرح العلة وتشخيص الداء ، ووصف العلاج وما أعتقده من الدواء

آراء وتحاليل لحالة الفتاة

١ — لقد تمكن الرجل بمركزه فى المجتمع من الظهور ، واستطاع بمكانته ومنزلته أن يتمتع بحقوقه ، واكتسب قدماً إن عفواً وإن حقاً أن يسيطر على المرأة ؛ والمرأة فى دورها وقفت مواقف حددت لها مركزها ، وبينت لها واجباتها فأظهرت حقيقة حالها ، الا أن قوة الرجل وهيمنته تغلبت عليها : فأتى عليها حين من الدهر كانت فى تصرفاتها مترددة بين ما ينفعها وما يضرها . ومرت بها أعاصير الايام ورياح الحياة فشعرت بنصيب من الحرية : فلم تقدر هذا النصيب ، فأرادت الاقدام للتمتع به ، وكانت كالطير فاندفعت فى الطفرة وأوجدت نفسها فى موطن جدير بالبحث والتدقيق ، وتعرضت لأقاويل الناس فمنهم من سايرها فأقرها وأنصفها ، ومنهم من وقف أمامها فأنكر عليها واعترضها

٢ — والمرأة وهى أنقص تكويناً من الرجل فهى أسرع منه انقياداً ، وأشد تأثراً ؛ ولها من أنوثتها ضعف فى العاطفة حيث تتصرف بشعورها وإحساسها وراء تلك العاطفة ؛ ولو أنها أسرع من الرجل فى التماس المعاذير وتدبير الحيل ، وإحكام التفكير فى التخلص ؛ فلها وقت الواقعة ، أو الحوادث دائرة واسعة فى المكر والدهاء والخديعة ؛ ومهما بلغ عقل الرجل فلا يستطيع مجاراتها فى هذا المضمار ، ولا يملك شعوره وإحساسه مثلها

٣ — قامة المرأة أقصر من قامة الرجل ؛ ومجموع وزن هيكلها العظامى أخف وزناً من هيكل الرجل . وقلبها أصغر من قلب الرجل ؛ فهو أخف وزناً ، وأسرع نبضاً ، وأكثر عدداً ، ودم المرأة فى كرياته الحمراء أكثر عندها من الرجل، مع أنه أقل مقداراً عندها منه . كما أن كريات الدم البيضاء عند الرجل أوفر منها عندها ، وتنفسها أسرع منه ، وجهازها الهضمى أقل احتياجا للطعام منه ، ووجود المحيض عندها جعلها أقل قدرة منه على الحركة والانتقال وعضلاتها أضعف من عضلاته بما يقرب من ثلث قوتها ، وجسمها قابل للسمن والنمو عن الرجل ، وقوام المرأة إذا قلت حركاتها ونشاطها أبعد عن الاعتدال من الرجل

٤ — الأمومة هى التى تكون طبيعة المرأة ، وهى التى تميزها عن الرجل وأداؤها لوظيفتها الفطرية هو سر وجودها فى الحياة الدنيا ، وبالأمومة تمكنت المرأة من حفظ كيانها ، والاحتفاظ بمركزها فى المجتمع الانسانى ، وفازت بالاشفاق عليها ، والرحمة بها ، واستمالة القلوب إليها ، وهذا هو أول دعائم تكوين العائلة ، والعمل على بناء الانسان ، ولها الفضل الكبير

فى تكوين الأمم ، وحفظ العشائر والقبائل والشعوب .

٥ — مع أن الأمومة من أشد أثقال المرأة . وأكبر أعبائها ، وأعظم جهودها ، وأصعب أحمالها . فان للأم امتيازاً خاصاً يظهر عند مقارنتها بأترابها اللائى لم يلدن . فتظهر كالزهرة المفتحة الأكمام . الشذية الرائحة حينما ينظر الى أولادها ، وتظهر فيهم روح الحياة ، وتبدو منهم ثمار الزوجية ، وعلامات كيان الأسرة .

٦ — أنوثة المرأة هى سبب خضوعها للرجل . لأنه هو الوحيد العامل المتمم لانتاج ماخلقت من أجله ، وهو التناسل . ويستحيل عليها الحصول على ثمرته إلا بواسطة الرجل . فلا بد من التجائها إليه ، واعتمادها عليه ، والاستعانة به لاحتياجها إليه ، وتلك هى روابط الانسانية . فيقومان بما يديم حياتها ، ويكثر نتاجها

٧ — ليس ماكان من خضوع المرأة للرجل ، وتأخرها عن مجاراته فى الرقى . إلا بسبب طبيعة تركيبها ، وأصل خلقتها ، وتكوينها الجسمانى ، وأن وظيفتها الحيوية . لاتستكمل إلا باجتماعها معه ، والمؤثر العام فى هذا كله أنوثتها ، ولأنها خلقت من الرجل «اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» .

٨ — ليس فى خضوع المرأة للرجل ذلة أو مهانة . مادام الرجل يقابل عملها بالعطف والحنان والرأفة ، واللطف والشفقة ، ومادام يقدر جهودها بالرفق والتعاون . ولئن استغل خضوعها ، واستعمل الغلظة معها ، والشدة

والقسوة عليها . ثم سايرته فلم يتهذب ، وتحملته فلم يرتدع ، وصبرت عليه وجارته فلم يعتدل ، فخضوعها لا يسقط من كرامتها ، بل يوطد مركزها ، ولا بد أن يدفع فى نفسه عوامل التبكيت والتأنيب . فيرد إليها حقها ، ويثوب إلى رشده ، ويعود إلى صوابه ، ويعاملها بالحسنى ، مما يوثق عرى الألفة والمحبة بينهما ، ويضاعف ثمار الحب الخالص فى قلبيهما ، وعلى الضد . إذا أصر على عناده ، فقد لا تدوم رابطتهما ، وتنفصم عراها ، وعلى الرجل أن يدرك أن قوامته على المرأة « الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » ليست لاستعبادها أو استرقاقها . بل هى قوامة ترجع كلها إلى حدود ما أراده الله . كلها الاشفاق عليها ، والرفق بها .

٩ — المقياس الأمثل لحفظ كرامة المرأة واحترامها . وإعلاء مكانتها ورفع شأنها . هو ماحدده الدين ، وأوضحته الشريعة ، ووافق على تنفيذه الاجماع ، وارتاحت إليه المجموعة البشرية ، وأقرته النواميس الطبيعية ، وسارت عليه الهيئات الاجتماعية وضمنته العدالة والعادات والقوانين المشروعة ، واتفق مع الأوساط التى تعيش فيها ، والبيئات التى نبتت منها .

١٠ — يجب إعداد المرأة لتتمتع بحقوقها التى منحها الله ، وأوجدها لها ، وذلك بتهيئتها لمعرفة واجباتها ، وتقدير المسؤليات التى عليها ، وتحديد نتائجها وتبعاتها ، ولا يتسنى الوصول إلى ذلك إلا بتربيتها التربية الصحيحة . التى تؤهلها لملاقاة المستقبل فى تطوراته بقدم ثابتة . فتعرف مالها وماعليها . وتتعلم حقوق زوجها عليها ، وحقوقها عنده ، وبفهم أنها ليست مرغمة على

الخضوع له ، أو إرضائه لاجابة رغباته ، بل عليها إطاعته فيما أمر الدين ، وحدده لها . لاعن قهر وجبن وضعف واستسلام . بل عن وفاء وولاء ، ومحبة وإخلاص ، وتضامن وتعاون ، واتحاد واتفاق ، وسلام ووفاق .

١١ — أثبتت التجارب أن عقل الفتاة وإدراكها يبكران عندها قبل الفتى . كما أن نموهما عندها يقفان مبكرين عنده ، وذلك لأن الأمومة تشغلها بواجباتها ، وإعداد العدة اللازمة لأطوارها وتطوراتها . فيقف بذلك النمو ، والمرأة تبدى عواطفها فى كل شىء بما يشابه عواطف الأم ولو لم تلد ، ومع قدرة الأم على الصبر والتجلد . فانها تتحمل فى سبيل تكوين الطفل وإعداده . وتظهر كل قوتها وقدرتها ، وتعمل كل ماوسعت من جهود فى سبيله . غير أنها مع ذلك كله تتسامح مع الرجل عند حبهاله وميلها إليه ، وتضعف أمامه . مادام همها الوحيد العمل على مرضاته . والمحافظة على مايسره للاحتفاظ بمكانتها عنده ، وقلما تصل المرأة المستقلة فى الرأى ، الحرة فى التفكير . إلى ماتصبو إليه نفسها من السيطرة على الرجل ، أو الانتصار عليه . إلا إذا كان ضعيف الارادة ، فاتر العزيمة ، وقد وهب الله الزوجين وهماعنصرا الانسانية من قوة المحبة والجاذبية . مايؤلف بين قلبيهما . ويجمع بينهما ، ويربطهما بما يقوى عرى ذلك الجمع ، وينمى ثمرات التآلف ، واستقلالها وحرية تفكيرها لا يبيحان لها تخطى حدودها الطبيعية .

١٢ — فوز المرأة ونجاحها مع زوجها . يتوقفان على ما يكون من مقدار الحب المتبادل ، والعاطفة والميل، وما يكون لها عنده من الرغبة والقبول . ودلالات ذلك مايبدو منهما من معاملة حسنة ، وتسامح معقول ، وتبادل

فى الرأى ، وتعاون فى الحياة ، وتضامن فى السراء والضراء .

١٣ — تهبط درجة سعادة الزوجة ، وتفشل كل مساعيها وجهودها . متى فترت عاطفة الرجل نحوها . لأنها إذا تمكنت من الاستدلال على حقيقة مكانتها عنده ، وقدرت ميوله . من حب ورغبة وميل وتوافق . أو من كراهة أو إعراض . أو فتور وشدة . تستطيع الوصول سريعاً إلى حقيقة موقفها ، وهنالك تتنوع درجات استدراجها هى للميل إليه ، أو النفور منه ، ولها عاملان قويان يشجعانها على سرعة استمالته ، وأولها الجمال ، وثانيهما الجاه والمال ، ويكون ذلك دليلا على عدم نضوج عاطفة الميل الحقيقى عنده .

١٤ — لا يتغلب الرجل على الزوجة ، ويتحكم فى عواطفها . فتغفر له سيئاته . إلا إذا كان جميل الخلقة . مستكملا قوة الجسد ، متحلياً بصفات الكمال فيبهرها ويطغى أثر ذلك على عقلها ، وتضطر إلى التبصر والروية ، ولا تتسرع فى الحكم على هفواته . التى تتوارى وراء تلك الحسنات ، ومع ما للمال من سلطان قاهر . فان أثر تلك الحسنات يجعلها راضية بما هى عليه ، ولا لوم عليها . فان ذلك يوجد عند الرجل الرغبة بعد الاعراض ، ويعظم درجة الحب فى قلبه فيسايرها ويتقرب منها ، ويجاملها ، وينسى ما بينهما من فوارق .

١٥ — لا يؤمن اضطراب عقل المرأة ، ولا تكون فى أمان دائم مادامت فى جو ضيق محكم الأرجاء . تشعر فيه أنها محكومة مقيدة . وتفهم أنها تحت تأثير خاص . حتى إذا نفذ اليها شعاع من حرية . أو بصيص من إطلاق ، جعلها تسعى إلى الخلاص مما هى فيه وتنجو من ربقة ما تعانيه ، وبضيع منها التفكير فى العادات والتقاليد . وتقلقل المبادىء والعقائد ، وتتذبذب

حركاتهـا ، وتضطرب أمورها . فتنسى كل شيء . وتفقد كل قوة تحتمى وراءها فينهار كل ما ارتكزت عليه . فلا تجد ركنا تأوى إليه . وعلى ذلك يجب عدم إكراهها إلى اللجوء لذلك . ومن الضرورى إيجادها فى جو هادىء

١٦ — فى المرأة قوى كامنة . تؤهلها لتحسين حالها فى أى وقت . وتعدها فى أى مناسبة للاصلاح ، وليس للرجل أن يقسو عليها . أو يتحداها . ولو أدرك الرجل مقدار مايتسع للمرأة من احتمال المكاره ، وتذليل الصعاب ، وما يتفق لهـا من أساليب الحيل وطرق التحمل ، فهو لا يستطيع مجاراتهـا فيه ، ولو أنه بلغ ما وصلت اليه من تلك الأساليب ، لمـا أشكل عليه أمر ولا تغلبت عليه فكرة ، ولا تعقدت عنده مسألة ، ولا أحرج صدره فى أمر من الأمور ، فمن النساء من تصمد للشدائد ، وتقوى على احتمال المكاره . وتتحايل على حل أعقد المشكلات دون التأثير على كيانها ، وذلك على النقيض من الرجل ، فقد يؤثر فى قوته التفكير ، ويفنى جسده التدبير ، ويعتريه الضعف والهزال ، ويظهر أثر ذلك فعالا سريعاً .

١٧ — المرأة فى أهنأ ساعات حياتها ، وأهدإ أوقات نموها ، وأدق حالة من كمال عافيتها ، وأبهى لحظة من ظهور جمالهـا . تكون عرضة لشدائد ومتاعب وصعاب ومشاق ، وهى مع رقتها ورفاهيتها أكثر تحملا من الرجل وأشد مراسا فى المقاومة ، وأظهر دليل على ذلك تكرار الحيض ، والحمـل ، والولادة ، والنفاس ، والرضاعة ، وتربية أولادها ، كل ذلك جعلها تتمرن على هـذا النضال النفسانى ، والجهـد الجسمانى ، فوق ما قـد ينتابهـا

من الويلات ، بمرض الأولاد أو موتهم . وما يصادفها من كوارث بفقد عزيز من الأهل والأقارب ، أو ما يقع لها من خلاف مع زوجها أو غيره من الحوادث .

أمام هذا كله يجب على الرجل أن يقدره للمرأة ، ويقابله بافساح صدره لها ، واشفاقه عليها ، وهى تقدر له هذا الصنيع لأنها معرضة للغم والخوف والكرب والاضطراب ، فيشترك معها وليدها فى مهده ، وصغارها فى طفولتهم ، وأولادها فى شبابهم .

١٨ — المرأة بأنوثتها وأمومتها تتعرض للأخطار والأمراض وللموت فى زهرة الشباب ونضرة العمر ، وأكبر مايدعو إلى رحمتها ، والاشفاق عليها الآلام المبرحة ، والأوجاع الشديدة فى الحمل والوضع ، وما تعانيه فى الرضاع وأدواره ، والفطام ، والحكمة التى تتدرج فيها لتربية الأولاد وكثرة عددهم وكل ذلك يحتم على الرجل العمل على تخفيف تلك الأحمال ، فلا يقسو عليها ، ولا يخرج عن طوره معها . ولا يكلفها ماهو فوق طاقتها فتتضاعف أثقالها . وعليه أن يدرك ويتأكد أن كل ماتقوم به الزوجة الأم من الأعمال البيتية ، فوق واجبات الأم هو فضل من عندها ، وتعاون مع زوجها وأفراد الأسرة ، وتدعيم لأساس العائلة وتثبيت لدوام حياتها . إلا ما كان خاصاً بها من واجبات لزوجها ، وضروريات لنفسها .

والرجل مفروض عليه تلقاء ذلك . أن يخفف من غلوائه ، ولا يسبح فى عليائه ، وليست الزوجة من سقط المتاع ، وإنما هى كالشجرة اليانعة ، تنمو سراعا ، وتنمو مبكرة فى صباها ، وتؤتى أكلها تباعا ، حتى إذا انقضى شطر

الصبا ، وولت أيام الشباب ، وتكرر اقتطاف تلك الثمار ، اعتراها الضعف ، وحل بها الكبر ، وأضحت كالجذع شاخ قبل الأوان ، وأصبحت كالمصباح أنار لغيره ، وأحرق زيته ، فانطفأ نوره من غير أن ينتفع .

والرجل على النقيض . كلما دخل فى تطورات الرجولة : شب ونما وترعرع ، وكبرت قواه ، وتضاعفت قدرته ، وزادت محاسنه . فلا يصح له وهذا حاله ، وتلك حالة المرأة ، وقد تمتع بثمارها الشهية ، واقتطفها بيده من أغصانها ، وتذوق طعمها اللذيذ . أن يتنكر لها متى كبرت . أو يسخر منها إذا ضعفت . أو يتخلى عنها إذا عجزت . بل واجبه أن يقوم بدور الرجولة . فينسى أنانيته ، ويبذل مروءته . ويبدى شهامته . فيهبها قلبه . ويبذل لها حبه ، ويتعاون معها ، ويتناهى فى العناية بها ، ويبذل قواه فى مساعدتها ، وبذا يقابل الجميل بمثله ، ويرد إليها بعض ماقدمت إليه . بل واجبه أن يضاعف لها ماقدمته فيزداد فى عنايته بها . كما يهتم بثمارها وهم فلذات كبده ، وأبناء صلبه ، وخلفاؤه من بعده . فلا يتركهم كلا على سواه ، ويبنى لهم من المجد : حسن التربية وكمال التعليم ، وإتقان التهذيب ، ويقدمهم للمجتمع الانسانى رجالا عاملين . يحفظون له خالد الذكر وطيب الأثر .

١٩ — تتطور أحوال الفتاة فى سن البلوغ تطوراً يوقفها موقف الخجل ، ويزداد حياؤها فيقرب من الخوف والحذر ، أو يضطرب أمرها فيصل إلى الاندفاع والذهول ، وقد يتجاوز الحد إلى التفريط . ويخلق فيها شعور ووجدان إما يدفعان بها إلى العزة والعفة والشمم ، وهو الغالب لأنها من طبعها الحياء . أو يولدان عندها رغبة تدفع فيها الميل إلى الشهوة والانقياد ، وقد

يقف أمامها صفاء فكرها ، ونمو إدراكها . وحسن منبتها ، وطيب عنصرها فيكون سداً منيعاً لرغبتها . فتجرى فى دمها حياة جديدة . أساسها التدبير والتفكير ، والنظر فى المستقبل ، والطموح إلى الآمال . فان عفت رأيها ، وسمت نفسها ، واتجهت ناحية النبل والشرف . ارتاحت نفسها من اتجاه جهودها إلى استنباط الحيل ، والمبررات والمعاذير ، ولم تك فى حاجة إلى ترويج حركاتها . فتقنع بما هى عليه ، وان تسلط عليها سلطان الهوى والحب اضطرب حالها ، وحذقت براعتها . فى إتقان عملها ، ومجاراة أهوائها ، وأنفقت كل أوقاتها : فى الزينة والتجمل ، والأناقة ، وعرضت نفسها لاجتذاب الأنظار إليها . فينقلب خجلها إلى الصلف والزهو ، وحياؤها إلى الظهور ، وعدم المبالاة ، وقلة الاكتراث ، وتدفع بها الأنانية إلى منافسة نظيراتها فتتسع عليها دائرة تصرفاتها ، وقليلا ماتملك إتقان دورها فتبوء بالفشل والخذلان والخسران ، وقد فقدت عطف الأقربين . ورحمة المحبين .

٢٠ — يجب أن يعنى بالفتاة فى سن البلوغ ، ويسهر عليها بابعادها عن جميع المؤثرات ، وتنقية الجو المحيط بها من أدران الفساد ، وتلطيفه من حرارة الخداع ، وتحطيم شراك الاستمالة ، وفخاخ الغواية . مع تمثيل أدوار الحياة بحقيقتها أمامها . خالية من الدخائل والبدع ، بعيدة عن مفاسد التقليد الأعمى وفى هذا الطور تكون دروس الحياة العائلية المنزلية ، وتكون تعاليم الاخلاق الزوجية . فتنقطع لدراستها ، ومباشرة واجباتها ، وتدريبها عليها ، ويبدأ شعورها وإدراكها لنتائج إتقانها أو إهمالها ، وتأمن بانشغالها بها . شر شراك المفسدين ، وتنجو من أحابيل وحيل المخادعين . أما إذا تركت فى

تلك السن وشأنها ، وأهمل أمرها . فقد وضعت تحت سلطان شياطين الانس وهم أشد بلاء من شياطين الجن .

٢١ — الغيرة أشد العوامل أثراً فى خصال الفتاة ، وهى نتيجة تصرفاتها فان كان ماغرس فى نفسها للخير . فأثر ماتغار عليه أو منه فهو للخير . وإن كان للشر فالنتيجة للشر ، والغيرة من أهم عواملها التنافس والمباراة ، وهى تولد الرأى والتفكير والتدبير للانتصار ، وبلوغ الغرض ، وفى طيات القلوب تذكى الغيرة نار الاستمالة والمودة والمحبة ، ويكون الاتجاه إلى دوام الاتصال ، ووثيق الارتباط مع من تغار عليه ، وتميل إليه ، وتحتفظ بمحبته أما الغيرة التى منشأها الحسد والحقد . فهى تدعو إلى المنافسة ، والمعاكسة ، وحب الظهور على الأقران والأتراب ، وتؤدى إلى المزاحمة بأى وسيلة ، وكثيراً مايتغلب الشر على الخير ، ويكون من وراء ذلك نتائج غير محمودة العواقب ويتعاظم شرها وضررها إلى الكبائر .

٢٢ — العاطفة فى الانسان هى المحرك الأساسى فى تصرفاته ، وهى مدار كل حركاته وسكناته . ففى الرجل هى الهدى الذى يهتدى به ، ويسير نحوه ، وفى المرأة هى الحب الذى يملك كل حواسها ومشاعرها ، والحب عندها فى كل شىء حسب موقفه منها وموضعها فيه ، فحبها للزوج ، ليس مثله للأب والأم والأخوة والأقارب والأصدقاء . وحبها لأبنائها ليس كحبها لزوجها أو هؤلاء وحبها للحرية والاستقلال ، ليس كحبها لباقى المتاع ، وإنما تسير فى مجموعها وراء العاطفة الكامنة ، على أنها لاتخلو من التطورات النفسانية ، فقد تدفعها عاطفتها إلى الافراط فى العناد والتعنت ، أو الشدة والقسوة ، أو الخصومة

والانتقام ، وكل ذلك يولد عندها: الغل والحقد والحسد ، وقد تدفعها عاطفتها إلى الحب الخالص ، والوفاء والمجاملة والاكرام والاحسان ، وهذا يوجد عندها التساهل والتسامح ، والميل إلى فعل المعروف ، والسير بالحسنى فى كل معاملتها ، وقد تدفعها عاطفتها إلى الخوف والفزع ، وتصور الأشياء على غير حقائقها . فتضطرب فى معاملتها من غير قصد ، وتتولد عندها الوساوس إلى غير ذلك مما تجره العاطفة

والرجل يندفع بدوره وراء عاطفته . إنما يختلف عنها بقصر حبل مكره فيضطر إلى ضبط نفسه ، ويملك زمام حواسه . فيهدئ من ثورته ، ويخفف من حدته ، ولكنه مع الأسف إذا تورط يصعب خلاصه ، وتتعقد أموره .

٢٣ — المرأة بفطرتها الطبيعية أرق شعوراً من الرجل ، فهى كما تقدم أشد تأثراً بالعاطفة ، ولكنها إذا وقف فى طريقها أى عائق . تتغلب عليه بكل الحيل ، وفى سبيل فوزها ، ووصولها إلى أغراضها . قد تنقلب من حمل وديع إلى نمر كاسر مفترس فتتحول من الرقة إلى الشدة ، ومن الرحمة إلى النقمة ، ومن التسامح إلى الانتقام فينكشف سر دخيلة نفسها ، وتظهر على حقيقة فطرتها . وهى لا تحجم عن المجازفة والتضحية إذا تملكها الغضب للأخذ بالثأر ، وقد تفقد الرشد والتريث إذا حوربت فى آمالها . فتتجاوز حدود العرف والمألوف ، ومن سوء حظها أنها إذا سلكت هذا المسلك الخشن مكنت خصمها منها . فان كان ذلك مع زوجها . عمد إلى إثارة غضبها ، وتنكرلها . بعد أن يسودها بسلطانه ، ويرائيها ويخادعها ، ويعاملها بالحذر والحيطة ، والمكر والحيلة ، والتظاهر والنفاق . وذلك كله لابد من تأثيره على عاطفتهما

فيصبح الحب جفاء ، والميل كراهية ، وتبدأ حرب الانتقام .

٢٤ — لاتملك عاطفة المرأة النفسانية بسهولة . بل بالمجاملة وحسن المعاملة ، والتودد ، واللين فى غير إفراط ، والتمسك بالحقوق فى غير شدة ، والعطاء فى غير تبذير ، والنصيحة فى غير تعذير ، والملاطفة والمحاسنة . هنالك تبسط يدها وتفتح قلبها ، وتجتذب إليها أليفها وحبيبها .

٢٥ — لاتملك عاطفة المرأة الحيوية بمجرد الاقتراب أو الاضطجاع بل تتضاعف وتولد الحب الدائم فى قلبها لزوجها . بالمداعبة ، والمباسطة ، والاستمالة والترغيب ، وإظهار عوامل المرح والسرور ، وإبداء مولدات الميل والرغبة . فتنصرف كل مشاعرها وحواسها إلى زوجها . فتثور ثورتها الطبيعية ، وتؤدى نتيجتها الفطرية ، وقد حققت التجارب أن أنانية الرجل الذى لايهتم فى هذا الموقف إلا بنفسه . فيرضى رغبته ، ويقضى حاجته من غير اهتمام بزوجته فقد يدعو ذلك إلى حب غير دائم ، وربما انقلب إلى الكراهية ، وكان علة فى عدم الوفاق ، ومن البديهى أن عاطفة الحب عند المرأة تدوم مادام اتصالها بمن تحبه ، وكلما نالت قصدها منه . ازداد حبه عندها ، وهذا الموقف أعز ماترجوه من الرجل وفيه كل المتاع .

٢٦ — كثير من الرجال قد يفتر حبه ، وتهبط درجة ميله . بعد بلوغ غرضه ، وقضاء وطره ، وربما يفقد عاطفته فيعود التقارب إلى التباعد ، وينقلب الوفاء إلى الجفاء ، ومن التذلل إلى التدلل ، ومن الحب إلى الخب ، وهذا ليس من المروءة فى شىء . لأنه يدل على الجحود والجمود ، والنذالة وقلة المروءة . ولاتجب مقابلة الاحسان إلا بمثله

على أن التجارب دلت على أن الرجل الذى يقف أمام المرأة ، ويستكين لرأيها ، ويستسلم لأمرها . فتسيره كيف تشاء، وتقسو عليه ، وتتحكم فى عواطفه لا يستطيع أن يملك قلبها ، ولا يسيطر عليها، وأما الرجل الذى يحافظ على كرامته ، ويحتفظ بقوامته ، ويبدى همته ويحترم رجولته . فانه يكسب قلبها واحترامها ويتمتع باخلاصها وحبها . فتنظر إليه نظرة المعتز بصديقه ، المطمئن برفيقه ، الآمن بعشيره ، الغنى بأليفه وبمودته . لأن الرجل مادامت هذه صفاته يكون دائم المسئولية . فعليه أن يكون رصيناً رزينا ، متدبراً مفكراً ، مقدراً نتائج عمله . وبغير هذا يسىء إلى نفسه كثيراً فى الحياة الزوجية .

٢٧ — المدنية الحقيقية هى سمو الأفكار والمبادئ ، ونبل الغايات والمقاصد ، وطهارة الأعمال والعادات والمعتقدات ، وهى ثمرة ارتباط الجنسين معاً على أقوم المبادئ ، وموقف الزوج يقضى عليه بانارة الطريق للزوجة وتسهيل الوسائل لتمتعها الصحيح بالمدنية . وإرشاده لها لتتعاون معه على إتمام مهمته ، وأداء وظيفته ، والزوجة فى دورها تعمل جهدها لتدعيم همته ، وتقوية عزيمته ، ومايضمن له النجاح فى أعماله ، ويوصله إلى بلوغ آماله ، لأنها تحمل اسمه ولقبه وشرفه ، فتربى أولادها منه ، وتحفظ قدره ، وتعمل على إعلاء شأنه ، ويعود خير ذلك إليها ، وهنا تتحقق المدنيـــة الصحيحة ، وتقطف ثمارها ، فالرجل يعمل وقواه القدرة والجهود ، والزوجة تعمل وقواها الاحساس والشعور ، وعملهما معاً للفضيلة والانسانية والآداب والأخلاق والعادات . ومجموع ذلك لله والدين والوطن

٢٨ — لا يمكن حرمان المرأة من حياة تعودتها . أو استلابها مميزات

اكتسبتها . أو استرداد حقوق حصلت عليها أو أى شىء نالته ويجب السير معها باللين والهوادة ، لا بالشدة والعنف . فقد يخشى عنادها ، ويخاف عاقبة عنتها ، وخير ما يكون ملاطفتها ، ومسايرتها بالنصح والارشاد ، حتى تتدرب على الانتفاع بالمعقول من تلك الحقوق والمميزات ، وتركيزها على أسس قوية ، وقوى صالحة ثابتة ، مع التدرج بها حتى تصل إلى مايرجى لها ومنها من النفع والخير .

٢٩ — وظيفة المرأة فى المجتمع الانسانى . تستوجب تقديرها لمسئولياتها حتى تتبوأ مكانها فى الحياة ، وتشغل مركزها وقد أوجدها الله ، لتتولى إدارة مملكتها الداخلية ، وتسوس أمورها المنزلية ، وتسود جميع أفراد الأسرة الذين يعيشون معها ، فتبذل جهدها ليرفرف علم السلام والاطمئنان ، ويعم الرغد والهناء ، وتسود الطمأنينة ، وينعم الجميع فى بهجة شمس السرور والانشراح ، وبفضلها تؤلف العائلة والأسر ، وتنظم الممالك والدول .

٣٠ — لئن كان الاجماع على تعليم الأولاد الذكور وتربيتهم وتثقيفهم ليكونوا رجال المستقبل وعدة الدفاع عن الأوطان ، ليحافظوا عليها ، ويعملوا على رفعة شأنها ، فألزم من ذلك وأولى : تعليم الفتيات لبنيان العائلات والأسر . وتكوينها ، وإعدادهن ليكن أمهات صالحات ، وزوجات مخلصات يعملن على تربية الأولاد وتلقينهم واجباتهم ، ويحفزنهم على الاقبال على التعليم ، ويتعاونَّ مع الرجال لتأدية واجباتهم ، ويشْدُدْنَ أزرهم ، لمقاومة الحدثان ، وتصاريف الزمان . فيوجدن الحياة الطيبة المطمئنة الهنية ، وهما يعملان معاً لنشر علم الفضيلة فوق ربوع الوطن ، فتعليم البنات واجباتهن

فى حدود ما قرره الدين ، ووفق ماحددته الشريعة من أقدس الواجبات .

٣١ — لايصح أن يهمل أمر المرأة فتترك تتخبط فى دياجير الجهل وظلمات الغباوة . بل يجب أن يعنى بأمرها . فلايترك تكييفها وفقاً لرغبات الرجل وشهواته . بل ينبغى تقوية صحتها وعافيتها ، أولا إن كانت ضعيفة ، وتدريبها على الأدب الصحيح . وفى قوة الايمان ، وخشية الله ومخافته من غضبه وعقابه . أكبر وازع ، فالمرأة المتدينة عليها مدار إصلاح الأسرة . تنشر بين أولادها تعاليم الدين ، وتحرضهم على التقوى والاستقامة ، فخير الهدى كتاب الله ، وأحسن الارشاد سنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وما أجمل أسرة سراجها حسن اليقين . لأن من وراء ذلك نموها على المبادئ القويمة الصحيحة ، فتشب على التقوى ، والاعتزاز بالنفس ، والشمم والعفة والطهارة والكرامة .

٣٢ — لا يتم ائتلاف الطبقات الاجتماعية ، وانتشار الطمأنينة والسلام فى ربوع العالم ، ولا يخيم الهدوء والسكون على أرجائه إلا بالتعليم ومحاربة الجهل فيجب تعليم كل الطبقات الخاصة والعامة ، كل فريق بما يتناسب مع أوساطه وبيئاته . وهكذا تعليم النشء ليعلم كل ماهو مفروض عليه ، وما يجب عمله ، والوقوف عند حده ، مما كلف به ، فلايصح الاقتصار على تعليم أبناء الأغنياء وإهمال الفقراء ، بل من حق الفقير على الغنى : أن يشاركه فى خيراته ومبراته ، وخير البر والمعروف : تعليم الفتيات حتى يهيئن المستقبل الحسن ، ويعددن للطوارئ عدتها ، ورحم الله شاعر مصر المرحوم حافظ إبراهيم إذ يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طاهر الأعراق

فتعليم الفتيات من أوجب الفروض لانتشار الطمأنينة والسلام مع مراعاة عدم الخروج عن أوامر الدين . أو الطائرة والتطرف

٣٣ — يولد الفتى فيسمى باسم أبيه ، ويموت على هذه التسمية ، ولكن الفتاة تولد فتحمل اسم أبيها وتتزوج فتضم إلى أسرة زوجها ، وتترمل فتنسب إلى أولادها ، وإن لم يكن لها ولد فهى أرملة فلان ، وهكذا رباط الزوجية ، يدوم مع المرأة ، وما وجدت باسمها فقط . فهى إما ابنة فلان أو زوج فلان أو أم فلان ، أو أرملة فلان ، أو من عائلة كذا . فهى ابنة المجموع الانسانى .

ليس للمرأة أن تطلب مساواتها بالرجل ، وقد فصلنا الفوارق بينهما وأوضحناها ، وقد اختص الله كلا منهما بمميزات عن الآخر ، ومنها ماله أثر ظاهر فى طبيعة التكوين ، وليس من صالح المرأة مزاحمة الرجل فى مميزاته ، كما لا يقوى الرجل على مزاحمة المرأة فيما خلقت له ، ولم تؤهله طبيعة تركيبه لذلك كما أنها بمزاحمتها له تفقد عطفه ومحبته وحنانه ، فلا تطالب بمساواتها به مهما بلغت من الثقافة والتربيسة والتعليم . ولا تنسى ماقرره مدبر الكائنات لحفظ كيان العالم . فجعل منها الأم التى تكون العائلة والأسرة . بعد أن تكون زوجة تنوء بأحمال الأمومة فى الحمل والوضع والنفاس والرضاعة وماسواها مما يضعف قواها ، ويوقف حركتها ، ويحرم عليها العمل . فلا تستطيع حراكا . فتضطر إلى من يعولها ويتولى شئونها ، وتدبر مقومات حياتها ، ويعد لها حاجاتها ، على عكس الرجل ، فعليها أن تقنع بما أراده الله لها .

٣٥ — النزول على إرادة الله وماحسنته الطبيعة هو أساس الاجماع ، وهو العدل ، وكل ماقضت به الطبيعة البشرية ، وما جرى عليه العرف والمألوف ،

هو الانصاف، وليس من حق المرأة الخروج على مقتضى الطبيعة البشرية ، وخير لها وقد عرفت مالها وما عليها أن تحترم تلك المقتضيات وما كان من نواميس توالت عليها الأيام والأعوام والدهور .

أما الفتى وهو يعلم أنه بالسعى إلى الزواج يعمل على ولوج حياة جديدة « يستكمل العضو الذى أنقصه الله منه بخلق زوجته ورده إليه» فواجبه أن يمهد السبيل ، ويعد كل الوسائل التى توصله إلى غايته بالنجاح والتوفيق ، ويقدر النتائج ، ويعتقد أنه وإن كان مطلق الحرية فى الاختيار ، لكنه مرتبط بأمور لابد له من القيام بها . وأولها أن يحارب طموح نفسه وجموحها فلا يسترسل فى اعتقاده أنه سيكون الحاكم المطاع ، والآمر الناهى . يتحكم ويتصرف كما يهوى «وأنه لابد واصل إلى أغراضه ومقاصده لقوامته على زوجته» وأولى له أن يقدر أن زوجته ستكون شريكته فى سرائه وضرائه وشقائه ونعمائه ، وأنها قضت شطراً من عمرها بين أحضان والديها . كالزهرة فى أكمامها . لايتمتع بطيب رائحتها ، ولا يتلذذ بجميل هيئتها ، إلا من اقتطفها فان ثابر على موالاتها بالرى ، ورعايتها بالعناية ، طال عمرها ، ودامت حياتها ، يانعة جميلة ، وعليه أن يسايرها بما يجب أن يسير معها عليه ، ويسيرها على ماتطيعه فيه وتعمل معه على إرضائه ، ولا يبيح لها اليوم ماسيحرمه عليها فى الغد بل يعودها على طباعه وخصاله ، ويجهر لها بما يرضيه ومايغضبه .

يجب على الزوج أن يوحد لغته مع زوجته فلا يكلمها إلا بلغة الاخلاص والمحبة والوفاء والصراحة ، يبث إليها لواعج حبه ، ولا يضمر لها غير مايظهر يشكو إليها آلامه ، ويصرح لها بآماله ، ويدبر أوقاته كلها للجد والنافع ، .

ويحتفظ لها بكل أوقات فراغه ، ولا يشرك معها أحداً إلا من يرتبط معه برابطة عائلية أومصلحة تعود عليهما بنفع أوخير . ومادامت لم ترزق بأولاد فهى شريكته الوحيدة ، وواجبه أن يصارحها بحقيقة حاله فلا يدعى الغنى والثروة وهو لايملك إلا كفافه ، وهو خير له من أن يخدعها فتورطه فيما لايقدر عليه ثم ينكشف أمره إذا أبطأ أو يتحايل بالاستدانة ليغطى موقفه وهنالك الطامة الكبرى ، وخير لهما أن يعيشا على قدر طاقته بعيدين عن هوان الدين ومذلة المطالبة من أن يزج بهما الاسراف إلى مالاتحمد عاقبته .

يجب على الزوج أن لايسمح لزوجته بالاسراف على عقيدة إرضائها فى بدء حياتهما الزوجية ثم يمنعها فلا تستطيع التراجع ، فيتولد الخلاف والشقاق بينهما ، ومما يهيئ لهما أسباب السعادة عدم كثرة الاختلاط والتزاور مع كل الطبقات ، والأولى أن تتفرغ الزوجة لادارة شئون بيتها ، ثم تنصرف إلى تربية أولادها ، ثم تصاحب زوجها إلى التنزه والتريض ، ولا يمنعها ذلك من التزاور وقت فراغها لمن كانت فى طبقتها وزوجها من مرتبة زوجها ، وقد دلت التجارب على فساد اختلاط السيدات ، وأقل أضراره التنافس وحب الظهور ، وماتدفع إليه الغيرة ، ومايملأ الأسماع من الأحاديث وسير العائلات وما هو معروف عن مجالس السيدات وماينشر فيها ، ومن أهم واجبات الزوج أن لايتساهل فى تعارف زوجته بأصدقائه والمباهاة بها من جمال أو جاه أو حسب ، خشية أن يستمر هذا التعارف فيؤدى إلى الاختلاط ثم إلى الريبة والشقاق ، وربما كانت العاقبة المحتومة الطلاق ، وقد علمتنا الأيام مافيه مزدجر من ذلك ، وفى كل يوم آية تدل على فساد هذا التصرف وسوء مايجنيه

الزوج على زوجته من عدم مراعاة العادات والتقاليد والخروج عليها طفرة.
وللعادات أثرها مهما تغالى الناس ، فالأرض الصالحة لزراعة نوع من المحاصيل
لا تصلح لغيره إلا بعد الاختبار والاستعداد ، وهكذا شأن الناس لا يصح لهم
أن يهجروا عاداتهم دفعة واحدة . بل يجب عليهم أن يمهدوا السبيل للتدرج
من حسن إلى أحسن . وليس حسناً اختلاط الجنسين مهما بلغت درجة الثقافة
والتعليم لأن الطبع غلاب ، ويقيني أن الدين أكبر وازع . والمشرع العظيم
لم يترك شاردة ولا واردة إلا أحاط الناس بها ، وعلى الزوج وقد يشترى
لزوجته فى أول أيام عشرتها الاصباغ والألوان بيده لتتحلى بها ثم يتركها
وقتاً تطمئن إلى مغاضبته ورضاه ، وقد استرسلت وتمادت فيما لا يستسيغه
ويأباه فيريد إرجاعها وعبثاً يحاول وتتولد النفرة بينهما فعليه وحده المسئولية
وخير له أن يكون حكيما فى تصرفاته فلا يسمح لها اليوم بما يجده محرماً
فى الغد ، وهذا شأنه فى إدارة بيتها يتركها فى أول الأمر تتدلل وتتهاون
فى واجباتها ، ويهيئ لها أسباب الاهمال بتراخيه وترك الأمور إلى الخدم
يتلاعبون بكل شيء حتى إذا ما أدرك حقيقة الأمر وما وصل إليه حاله من
الاسراف والتبذير لا يوجد من يدبر شؤونه أو يتعاون معه ، فلو أنه سار
السيرة الطبيعية وجعل الزوجة لادارة البيت لما وصل حاله إلى ما يشكو منه ،
هذا إذا لم يشجعها على كثير من المضار . فقد يستحضر الزوج فى بيته أنواع
المسكرات والمشروبات تغالياً فى إكرام أصدقائه كى يعاقرونها وقت اللهو
وربما أجلس زوجته فتضطر إلى مجاراتهم ويدفعها حب الاستطلاع
إلى تذوقها ؛ وقد يسوقها الزوج إلى مجاراته بمفرده ، وقد يكون لهما أولاد

صغار يسارعون إلى تقليدهما فلا يمكن تقدير سوء العاقبة ، فالزوج الذى يسعى إلى الحياة الهنيئة الشريفة يجب أن يحوطها بكل دقة وتبصر ويجب أن يقدر كل ذلك ، ولا ننسى أن مما يدعم الحب الخالص بين الزوجين إنكار الذات فلا يتفرد واحدمنهما بالتمتع ولا يجتهد الزوج فى الاناقة وحسن الملبس والظهور بين الناس ، ويترك زوجته دون الاهتمام بطعامها وملبسها ومسكنها بل عليه أن يقاسمها حظه فى هذه الحياة ، ويعمل على متاعها وترفيهها . كذلك يجب على الزوج أن لا يزج بزوجته فى المجتمعات العامة فى أوساط لا تتفق مع بيئتها فتتخلق بأخلاق أهل تلك الأوساط ، وبذلك يستطيع الزوج أن يستكمل لزوجته مافيه نعيمها وهنائها بمسلكه القويم وباحترامه أوامر الدين وبمعاملتها وفق نصوصه وشريعته فيأمن شر الخطأ والزلل .

وعلى الزوج أن يتمكن من دراسة حقوق زوجته عليه فلا يعتقد أنها أسيرة أوامره وتصرفاته فيتحكم فيها ويكلفها بما ليس فى طاقتها . أو يطالبها بما لم يكن فى مقدورها ، بل عليه أن يضاعف مايجب لها عليه من خير إن استطاع ، ولا يبخسها شيئاً ، كما أنه لا يفرط لها فى حقوقه ، ولا يجازف بالتهاون فى شىء منها .

والزوج العادل العاقل الرزين هو كل آمال الزوجة المحبة المخلصة الوفية ، ومتى وجدا كان الزواج هو النعيم المقيم ، وان اختلفا كان الزواج هو الشقاء الدائم ومبعث الجحيم .

وبعد فهذه بحوثى وتجاريبى وإن كنت أشعر أنها لا تقف من تحليل حالات المرأة والرجل عند هذا الحد ، ولكنى أقدمها للقارىء الكريم

وأرجو معذرة وعفواً إذ أن الموضوع مترامى الاطراف . يستدعى مجلدات عديدة ، وأساس قصدى أن أتدرج من البحث والشرح إلى التنبيه والارشاد والدعوة للخير . فأتفادى الاطالة وما يؤدى إلى الملل . لأ كسب الرغبة فى النصح ، والاستفادة والعمل به ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

غلاء المهور

والتبذير فى نفقات الزواج

اطلعت على نداء أذاعته دائرة المعاهد الدينية بالمجلس الشرعى الاسلامى الأعلى بفلسطين فوجدته جامعاً لما يجب أن يقال فى هذا الموضوع الهام فآثرت درجه ضمن كتابى هذا وقد وفى الموضوع حقه والله الموفق :—

«ان مسألة غلاء المهور والتبذير فى نفقات الزواج والأعراس كان المجلس الاسلامى الأعلى قد تنبه لها مراراً وأصدر بشأنها بيانات ونداءات كان أثرها حسناً لدى كثير من العقلاء والفضلاء ، إلا أنه مع الأسف لا يزال الكثيرون من سواد الأمة مقيدين على تحمل وزر هذا المنكر ، ماضين فى سبيله الخطر دون أن يفكروا فى عواقبه الوخيمة ، وفيما يجنون على الأمة فى أخلاقها وثروتها ونقص سوادها .

لذلك رأت هذه الدائرة أن توجه أنظار المسلمين إلى ما تقتضيه أحكام دينهم

الحنيف وقواعده من وجوب التساهل فى المهور وعدم المغالاة فى نفقات الأعراس ، وإلى ماتنتجه مخالفة الدين من الأضرار الفادحة .

إن ديننا القويم الذى يتمشى مع المصلحة ويساير العقل لايتفق أصلا مع غلاء المهور والافراط فى النفقات لأن ذلك يقف حجر عثرة فى سبيل الزواج الذى تضافرت نصوص الشرع على الحث عليه والترغيب فيه استكثاراً للنسل وتوفيراً للسعادة العائلية ، وإحكاما لربط الناس بوشائج وثيقة وأسباب متينة من القربى والمصاهرة .

فمن المعقول بل من الضرورى أن يكون الشرع الشريف قد مهد سبيل الزواج بوجوب التساهل فى أسبابه والحث على تيسير أمده ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام «من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها» .

وقد أيد الرسول عليه الصلاة والسلام قوله بالفعل فتزوج عائشة رضى الله عنها على متاع بيت قيمته خمسون درهما وهى لاتزيد كثيراً عن جنيه من عملتنا الدارجة ، وأولم على صفية رضى الله عنها بسويق وتمر . مما يدل على أن المهر ليس مقصوداً فى الزواج بل ان الغاية من الزواج أسمى من أن تقابل بنقد وأشرف من أن تعرض لامتهان المساومة بمال هالك أو عرض فان . لذلك اتفقت كلمة الأئمة الأعلام على أن العقد يتم بدون ذكر المهر وحدد بعضهم أقل المهر بعشرة دراهم وبعضهم بأقل منها .

وكما أنه يجب التساهل فى نفس المهر فكذلك هو بطريق الأولى واجب فى حق النفقات التى تصرف فى هذا السبيل من هدايا ومقتنيات وحلى وأمتعة وغير ذلك مما يجعل الزوج يرزح تحت أثقال الدين ويعود بالنهاية شؤماً

على المرأة كما قال عروة رضى الله عنه فتكدر حياتها وتحرم رغد العيش وعطف الزوج الذى سوف لايرى فيها البركة ويمن الطالع .

وللناس أسوة حسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زوج فاطمة رضى الله عنها وهى من هى فى الشرف والرفعة ، فجعل نفقة زواجها وجهاز عرسها من أخف الأشياء وأيسرها ، قالت عائشة وأم سلمة «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على على فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا ثم أطعمنا تمراً وزبيباً وسقينا ماء عذباً ، وعمدنا إلى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة»

وقد كانت هذه حال المسلمين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بالشرع الشريف إلى أن استهوى النفوس التفاخر الممقوت وحب الظهور فاتخذ قوم الزواج مطية للشهرة الكاذبة فخرجوا به عن حكمته المقصودة من تشكيل الزوجين حياة مشتركة يتبادلان فيها التعاون على تربية النسل وتنشئته والقيام بأعباء الحياة وتخفيف عنائها . نعم خرجوا به عن حكمته بما ابتدعوا من الغلو فى المهور والتبذير فى النفقات فحالوا بين الزواج وبين الطالبين وأحرجوا موقف الراغبين ، حتى أصبح الزواج خطراً يتقى ووبالا يجتنب ، بسبب هذه التكاليف المرهقة التى لاتطاق .

وإذا كان التفاخر من قوم خرج بالزواج عن حكمته المقصودة فان الطمع قد خرج بقوم آخرين عن الانسانية وتجاوز بهم حدها مشياً إلى الخلف حتى أسقطهم فى البهيمية المحتقرة فغدوا يبيعون بناتهم بيع السوائم فمن دفع أكثر

كانت المرأة متاعه وأمته بل دابته . فلا أهلها ينظرون لكفاءة الرجل المعنوية ولا لمستقبل حياة بنتهم المظلمة ، ولا هو يرى فى زوجته أكثر من مملوكة اشتراها بماله فله عليها حق الخدمة فى البيت والمزرعة والسوق ، ولا الزوجة تنال مما سمى مهراً لها — وماهو إلا ثمنها — شيئاً يصلح به من شأنها لأخواتها من بنات آدم لتبقى كالبهيمة من كل وجه غير أنها غالية الثمن بما يتجاوز مئات من الجنيهات يفقر بها زوجها ويغنى بها أبوها وهى بينهما فى عذاب مضن من الرق والجوع وتنغيص العيش وهى النتيجة المحتومة لهذا الزواج لدى زوج ألجأه زواجه إلى بيع عقاراته وأملاكه ودخلت بيته وهو فقير لا يستطيع ضمان سعادتها وتوفير حاجتها .

وهذا الذى وصفنا يجرى فى أكثر القرى ، ويجرى فيها ماهو شر من هذا ، وذلك أن الفتاة إذا خطبت ولم يكن لها أب وكان لها ملك يعضل أخوتها وأولوا أمرها عن زواجها حتى تتنازل لهم عن ملكها وإلا ظلت عانساً تقاسى مرارة العزوبة وسوء المعاملة .

والغلاء فى المهور بمقاصده ومفاسده حرام ضار يصرف الراغبين عن الزواج له الأثر السيء فى تقليل النسل وتكدير العيش وانتشار الفجور وتدهور الأخلاق والاستهداف لفتك العلل والأمراض ، وارتكاب الجرائم والجنايات مما يعتبر فى نظر الشرع من أقوى أسباب تحريم المغالاة فى المهور والنفقات ويؤكد إيجاب التيسير فيها عملا بقاعدة جلب المصالح ودفع المضار

هذا وإن استمرار الحال على ماهى عليه يؤول إلى تصدع كيان الأمة وانهيار بنائها وفساد حالها ، فيجب على أولياء أمور النساء اجتناب هذا المنكر

وعلى عقلاء الأمة وعلمائها والمسؤولين فيهـا أن يكونوا قدوة صالحة للعامة فى الرجوع إلى أصل الدين وأن يحاربوا ماااستطاعوا هذه البدعة المنكرة وأن يحثوا الناس على اتباع سلفهم الصالح وأن يعلموهم أن الشرف والمجد ليس كالمتاع يشرى ويباع ، وأن شرف الفتيات مرتبط بالأخلاق والآداب لا بغلاء المهور وبهرجة الثياب ، وأن حلى الفتاة خلق يزينها وتربية صحيحة تصونها ، وأن سعادتها فى كفء تجد بجانبه صفو الحياة وهناءها ، فلا غلاء المهور يجدد مجداً ولا التبذير فى سبيل الشهرة يشرف أباً وجداً ، ولينظر المفتونون بالزخرف الزائل إلى زواج عائشة أم المؤمنين وفاطمة البتول بضعة الرسول ، وإلى سير الزواج فى عهد النبى الأمين وأصحابه الميامين فلهم فى ذلك خير قدوة وأفضل أسوة ، لا يحيد عنها إلا من استهان بالدين ، واستخف بخير المسلمين ، وغلبه هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وذلك هو الخسران المبين .

تعدد الزوجات

لم يكن الاسلام أول من شرع تعدد الزوجات ، وقد أثبتنا أن شريعة سيدنا موسى أباحته من قبل وكان العرب يسيرون عليه من غير تحديد ، وقد امتاز الاسلام بتحديد العدد ، وتقييده بشروط تجعله فى دائرة ضيقة .

والحكمة فى التعدد أمور شتى فى مجموعها نشر الفضائل وكثرة النسل ، ومنع المنكر والفحشاء .

أولا : بعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام بين العرب وهو رسول رب العالمين للناس كافة ، وكان العرب قبائل مشتتة متفرقة ، وفرقا مبعثرة ، والدعوة لنشر الدين تستوجب العدد والكثرة فكان القصد إلى زيادة النسل أدعى الأمور للتفكير ، وليس القصد من التعدد قضاء شهوة أو لذة .

ثانياً : الرجال معرضون للموت أكثر من النساء بسبب الحروب والمجهودات المضنية ، وتعرضهم للهجير والشمس المحرقة والبرد القارص ، وقد ثبت من تعداد الأنفس فى الأمم أنهم أقل عدداً من النساء ، فاذا اختص كل رجل بامرأة . لعنست كثيرات من النساء وحرمن ممن يكفلهن أو يعولهن أو يقوم بحاجياتهن فضلا عن حرمانهن من متاع الدنيا ومنه البنون «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» فتصبح النساء عالات على الناس . فيكثر البغى فى الأرض والفساد والاعتداء على العرض .

ثالثاً : إذا انقرض الرجال من جراء الحروب والجهود والأعباء الشديدة التى يقومون بها ، وبقيت النساء من غير أزواج تسلط عليهن الفناء ، وانهدمت الأمة وعفى أثرها كأن لم تغن بالأمس .

رابعاً : لا يؤمن شر الرجال واعتداؤهم على الأعراض . إذا اختلفوا مع أزواجهم . أو أصابهن المرض فحرم عليهم الاتصال بهن ، وقد وجدت الباءة ولها أثرها المحرض على ارتكاب المعصية لقضاء الشهوة واللذة . فتعدد الزوجات لا يقصد منه إلا الشرف والشمم والعفة وحفظ الباءة .

وقد رأى العزيز الحكيم وهو لا يظلم الناس شيئاً أن يبسط لهم رواق رحمته فأباح لهم التعدد وقيده بقيود شديدة تدريباً لهم على الطاعة ، وضبط النفس ،

وحسن التصرف ، وعدم الظلم . فمن ملك ذلك فقد تمتع بالاباحة ، ومن لم يملك فقد حرم منها . ولهذا يقول أحكم الحاكمين :

« وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى . فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »

وقد حدد بعد الاباحة شرطها وهو العدل بين الأزواج ، وعدم المفاضلة وتوزيع حسن المعاملة بينهن بالعدل والقسط ، والمساواة التى تجب أن يكون من ورائها مرضاة الله . حتى يخاف عقابه ، وشدة انتقامه ممن لا يعدل وفق أمره الكريم جل شأنه . فمن استطاع ذلك فقد فاز برضا الله وتمتع بالاباحة ، ومن لم يستطع فقد حرم منها ، وواجب عليه أن يخاف عقاب الله .

وإن العليم الخبير قدر فى أزليته عدم اعتصام الانسان من الزلل ، وعرف أنه لا يستطيع العدل أو عدم المفاضلة بين أزواجه فقال :

« وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا »

وفى هذه الآية الكريمة الاشارة الواضحة إلى عدم الاستطاعة ، مهما حرص الانسان ، لأن قوام المعاملة فى هذه الناحية هو العاطفة والميل « وَخُلِقَ الانْسَانُ عَجُولاً »

لذلك يكون التصريح بالتعدد أمام هذا القيد الوثيق كحل لحالة يسود فيها سلطان العقل وهذا غير مأمون دوامه . فوق أن الخروج عنه معصية لله ومجلبة لغضبه وشديد عقابه ، لأن الله يقول وهو أصدق القائلين :

«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ»

إنذار صريح لامواربة فيه . أى إن من لم يتق الله ويخش عقابه ، ويخف غضبه ، بعدم اتباع أوامره التى قضى بها ، وهى العـــدل والمساواة وعدم التفاضل بين الزوجات ، فقد تعدى حدود الله وحق عليه عقاب النار الخالد ، فوق ذلك العذاب المهين .

هذا هو ماقضى به الاسلام فى تعـدد الزوجات ولا عبرة بعمل الجهلاء الذين ليس لهم من الدين إلا الاسم ، وهم يجهلون تعاليمه وأوامره ، وقد وضح تمسك الاسلام بالمصلحة العامة : والمحافظة على حقوق المرأة ، وصونها من تلاعب الأهواء والشهوات بها .

ويمكننا أن نتساءل : ماذا يكون حال رجل قوى البنية ، شديد الساعدين ، متين القوى ، سليم البدن ، كامل العافية ، وقد تزوج من فتاة فاجأها المرض واستعصى عليها الشـفاء ، وطال عليها الأمد ، فأى الأمرين أنفع لهـا ... والرجل على أتم استـعداد للحياة الزوجية ، وإن اعتصم ، وهو إنسان بشر يأكل ويشرب . هل يصونها فى خدرها ، ويرعى زمامها ، ويقوم بعلاجها ، وقد تزوج بغيرها لـكى لايحرم من نسله ؟ أويسعى لطلاقها بسبب تلك العلة وفصلها عنه .. ؟ لابد أن العقل والمنطق يقضيان بالزواج لتبقى تحت رعايته وعطفه ، وإن كان لهـا منه ولد فهو يعيش بين سمعها وبصرها ، ويعنى بأمره وقد صان لهـا الشرع حقوقها فى حياة زوجها وبعد مماته والله سـبحانه

وتعالى يقول :

«لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ»

شرع الاسلام ذلك ، وقد أحاط المرأة بكل شفقة ورحمة ، وحافظ عليها فصور لها عاقبة التفريط وبين لها نتيجة الاستهتار ، وشدد لها العقوبة صوناً لعرضها ، ومحافظة على شرفها ، فان كثيراً من غير المسلمين وبالأخص فى العالم الغربى المتمدين ، يتخذون الزواج وسيلة لمصاحبة غير واحدة مع التظاهر باحترام حقوق الزوجة ، وهويدوس تحت أقدامه أقدس حقوقها ، وهو الحب والوفاء والاخلاص . فيعاشر ويصاحب ويخادن تحت ستار المدنية الكاذبة ، وقد تنعكس الآية ، وتمثل الزوجة دورها ، ويتغاضى كلاهما عن سوءات الآخر ، ويغض نظره عنه ، وتكون أسوأ النتائج على النسب والشرف

ومن الأمور البارزة التى لايختلف فيها اثنان : إباحة اختلاط الفتيان بالفتيات ، باسم الخطوبة والاختبار ، وذلك مايتفاخر به الكثيرون ويرون أنه المدنية ، وأنه من ضروريات الزواج ، وأهم أسسه ، فيباح اصطحاب الفتى للفتاة ، والتنزه والفسحة ، وارتياد دور التمثيل والسينما . والسير معاً لدراسة الأخلاق ، ومعرفة الطبائع ، وقد يتغافل الوالدان ، ويسهلان الوسائل ، ويهيئان الأسباب ، ويتغاضيان عن كثير مما لايرضى ويتجاهلان التصنع الكاذب ، وتكون نتيجة ذلك ، وعاقبته ماوقعنا فيه من التقليد الأعمى : الاستدراج ،

والوعود الخداعة الخلابة الكاذبة ، وكثيراً ماتسوء العاقبة بما يرتكبه الفتى . ويجنى على فريسته ؛ فينقلب عليها ، ويعرض عنها وتصبح التى كانت بالأمس ملاكا كريما : شيطاناً رجيما ، وبعد أن كانت كل آماله نظرة منها أو لقاءها يبتعد عنها ويهرب منها ويكيل لها التهم والتشهير والسب والطعن بكل مايملك من قوة . بعدأن يلطخها ويسىء إلى سمعتها بجميع مايستوجب العار والفضيحة

لكن الشرع الاسلامى وهو يحرم النظر إلى المرأة بعين غير بريئة ، كما حرم الاختلاط أو المعاشرة بغير رباط الزوجية ، فقدسهر بذلك على حقوق المرأة وحافظ عليها وأحاطها بسياج الكرامة ، والله جل وعلا يقول :

«وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ، فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ، وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، مُحْصَنَاتٍ ، غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ، وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ . فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ . ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

ولم يقف بصون حقوق المرأة عند هذا الحد . بل اختصها بالقصاص لها من كل معتد عليها بأشد العقوبات ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ

جَلْدَةً . وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ ، إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ؛ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ» .

فهل لأهل العقول الناضجة، والبصائر البريئة، أن يقدروا موقف المرأة فى هذا التشريع ، وقد منحها الخدر والعفاف ، ومكنها من الدفاع عن نفسها ، ففاقت عن الرجل بالرحمة والشفقة ، وهذا تشريع ظاهر لا لبس فيه ولا إبهام ، كله المحافظة على الحقوق وتطهير المجتمع الانسانى من أدران الشرور والمفاسد والانصراف المطلق إلى الحياة الزوجية الشريفة، حتى يأتى النسل الطاهر ، وتتكون العائلة القوية الحسب والنسب ، فتتألف الأمة من النفوس الشريفة ، وتسمو مكانتها بالفضائل ، ولا يتم ذلك إلا بالزواج المشروع .

أبعد هذا يكون الزواج الشرعى ، أفضل أم المصاحبة غير المشروعة ، والاختلاط الاباحى غير الجائز ؟ وهل إباحة السفاح الآثم وما يجنيه على الانسانية من شرور وأذى ، وضياع الأحساب والأنساب خير أم تعدد الزوجات مع تلك القيود الشديدة القاسية ؟ وهل ينسى المغرضون المكابرون أن تلك الحياة الفاسدة . حيان المعاصى والكبائر قد تجمع بين أخ وأخت من

سفاح . أو والد وابنته وهما لا يدريان ، أذلك خير ؟ أم وضع تشريع سماوى سنه خالق الأكوان ، وعلام الغيوب ، الذى يعلم ما يكون وما قد كان ، يصون الأعراض ، ويمنع المفاسد . فتسمو الفضيلة ، وتعم العفة والطهارة ؟

وهذا حكمه فى تدعيم حياة الفضيلة ، فقد شدد العقوبة على المنحرفين عنها وجاء أمر الله العزيز الحكيم :

«ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ» .

فوضع هذه العقوبة الشديدة ، وهذا الحكم القاسى القاتل ، لمرتكبى الزنا ، وجعل نهايتهم العذاب والموت ، لأكبر دليل على يقظة الاسلام ودقة تشريعه ، وأظهر برهان على أن الزواج ليس الغرض منه قضاء الشهوة واللذة بل الغرض الأسمى هو التناسل ، وحفظ الأنساب وصون الأعراض .

وإذا كانت بعض الشرائع حرمت تعدد الزوجات ، وأطلقت سهام النقد على الاسلام بسببه فقد أغمضت أمها الأعين عما يجرى من المفاسد والشرور والآثام بما يزيد عن التعدد فى مدى واسع الاباحة ، وفى كل مناسبة سواء بالمصاحبة المستمرة ، أو المعاشرة الوقتية ، أو المخادنة ، وكلها فى جميعها نوع من الزواج العملى بغير خضوع للشرائع والتزام لحدودها ، وبغير مسئولية عن النتائج السيئة وأضرها المخادنة ، فقد يخادن الرجل المرأة ويعاشرها معاشرة

الأزواج ، ويقضيان الحياة الزوجية بغير رباط شرعى ، وفى جو الغواية والأساليب الشيطانية ، حتى إذا ماتناسلا ، وزهد الرجل ؛ ورغب عن المعاشرة ، تنصل عن الاعتراف بالزوجية ، وببنوة الأولاد ، وأنكر صلته بالأم ، وحرم عليها أى حق لها ولأولادها ، وهجرهم جميعاً . وألقى بهم فى الطرقات والأزقة ، وقد ينتهى الأمر إلى القضاء ، فيظهر الخفى ، وينكشف المستور . وبعد الفضيحة والعار ، وإذاعة الأمر بين الناس ، ربما يحكم بصحة البنوة ولو أنها كانت من سفاح .

أهذا كله خير أم شرع الاسلام ؟ ؟ وهو آخر الأديان السماوية ، وقد وضع نظام الحياة الزوجية ، وقد حرم الزنا ، والخنا ، واللواط ، داعياً للهمة والنخوة والشهامة والمروءة ، وحامياً للانسانية من الانقراض ، عاملا على كثرة النسل لاحياء الأمم والشعوب والقبائل ، كل ذلك مما يعلى شأن الانسان ، ويحفظ قدره من الانحطاط إلى البهيمية ، ويرفعه من السقوط فى غوغاء الهمجية .

اللهم إنه الحق وأنت أحكم الحاكمين . فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، والانسانية المعذبة تجأر إلى الله مما نكبت به من عبث العابثين ، وها أنا ذا قد أوضحت أسباب تعدد الزوجات وحكمته ، وبينت شروطه وقيوده ، وهى ظاهرة فى الآيتين ، فان تقول المكابرون بعد فقد استوجبوا اللعنة وسوء العاقبة . وما جزاء المتعنت إلا الاعراض

«فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» .

«وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ» .

فالاباحة ليست مطلقة ، وقد شرعها الله لحل المشكلات ، والخروج من مآزقها ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

الطـــــلاق

الطلاق : هو فصل المرأة عن الرجل وجعلها طليقة من قيود الزوجية وليس الاسلام أول دين سن الطلاق فقد سنته شريعة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من قبل وسارت عليه العرب قبل ظهور الاسلام بينهم ، ولم تبحه الديانة المسيحية إلا بسبب أوعذر لاحاجة لنا بالتعرض له ولو فشى الآن بين الغربيين وغيرهم من أهل أمريكا ، فاذا أنصف المعترضون على الاسلام وراجعوا الحقائق لاضطروا إلى الاعتراف بأن الاسلام أشد الأديان محافظة على حقوق المرأة ، وأحرصهم فى الدفاع عنها فقد شرع الطلاق وصرح للرجال به ولكنه قيدهم بما حفظ للنساء حقوقهن ، وتبين أن الطلاق لم يكن القصد منه التفريق بين الزوجين ، بل على الضد لايجاد جو الوفاق والصفاء فى الحياة الزوجية ، وأنه أمر يلوح به لمنع الاختلاف ، ولا يباح تنفيذه إلا باحتياطات شديدة وقيود قاسية ، وكان نصيب الرجل فى تصرفاته وجوب التزام الروية ، والتبصر ، والصبر ، والحكمة ،

وعدم التسرع ، وكبح جماح النفس وضبطها ، وهذا حل لا يقدم الرجل على الانتفاع به الا وقد ضاق تفكيره ، وقلت حيلته ، وضل تدبيره . وفى وقت تتسع للمرأة دائرة واجباتها عليه ، وقد حرم على الرجل أن يعضلها أو يرهقها كما جاء فى كتاب الله العزيز الحكيم :

« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ، وَاللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ، فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا » .

قضى الله بذلك كى يتدرج الرجل فى إصلاح ذات بينه وبين زوجته إذا هى نشزت ؛ أو نفرت منه وعليه أن يحاسنها ويعظها برفق ولين وهوادة لعلها تهدأ وتثوب لرشدها ، فاذا لم يفلح ذلك معها هجرها فى مضجعها معتصما بالتقوى وخشية الله . لا يكايدها بالنظر إلى غيرها ؛ فان صلح حالها ورجعت عن عنادها فلا جناح عليها ويغفر لها ما كان منها ؛ وإن لم يثمر كل ذلك وأصرت على عنادها ولم تعتدل بالحسنى والمعروف أرهبها بالضرب الخفيف لتخويفها لا لايذائها وإهانتها ، فان أذعنت إليه وأطاعته وأحسنت عشرته فلا يعيرها بما كان بل يجب نسيانه كله تفادياً من الشقاق والخلاف والنزاع والتفريق ، وحباً فى الوفاق والوئام ، والصفاء والتوفيق ، حتى إذا ضاعت عليه الحيل ، وضاقت وسائل الاتفاق عمد إلى التحكيم والله جل وعلا يقول :

«وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا . فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» .

يريد الله بذلك . تضييق دائرة الخلاف ، والوصول إلى حل يوفق بينهما ويجدد الألفة والمحبة ، حتى لا يقع التفريق ويتمزق شمل العائلة ، وحتى يعود إليها الصفاء والسلام ، وهذا كله دليل قوى على حكمة التشريع الاسلامى ، وأن الاسلام الذى يرميه خصومه باذلال المرأة واستعبادها بعيد كل البعد عن افترائهم لأنها بعد ذلك كله تتمتع بكل حرية لا ينال الرجل قليلا منها .

ومن أوامر الله الحكيمة التى شرعها فى الطلاق قوله :

«لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ . فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ ، إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ ، إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ، وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» . وقال عظمت قدرته :—

«الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا . إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ، تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا

تَعتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتعدَّ حدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» .

« فَإنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ ، حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ » .

«فَإنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا . إنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ» .

«وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» .

فالغرض من هذا التشريع الحكيم العادل أن الرجل إذا قام وقت الخلاف بينه وزوجه بما ذكرنا ، واستعمل كل مافى وسعه وطاقته ولم يفلح فعليه أن يعالج نفسه بالصبر والأناة . فان تصالحا فان الله غفور رحيم .

وإن حم القضاء ، ونفذ الأمر ، ولم يبق فى قوس الصبر منزع ، وقد عزما على الطلاق . فعلى الرجل ألا يسرف فى تصرفه ، ويكبح جماح نفسه ، ويمسك قيادها ، فيجعل الطلاق علاجا للمأزق الذى وجد فيه وضاقت عليه الحيل للخروج منه ، ولذا أشير أن يكون أقصاه مرتين لكى توجد الفرص اللازمة لاصلاح ذات البين والتوفيق ، ويتمكن الرجل من رد زوجته .

وهذا التشريع محاطاً بأمرين لامفر من تنفيذهما . أولهما : مادى ، والثانى أدبى أخلاقى .

أما الأمر الأول : فقد قضى على الرجل أن لايمس شيئاً مما أعطاه لزوجته من أثاث ورياش وحلى ومتاع .

والثانى : وقد فرض على الزوجة إظهار حقيقة أمرها إن كانت حاملا أوغير حامل . حتى إذا كانت حاملا يتدبر الزوجان فى أمر مولودهما ، ومصير حياته بعد تفرقهما . فتكسر حدتهما ، ويثوبا إلى رشدهما ويتراجعان

ويتصالحان . وعلى الزوجة أن تفكر فى رضاعه وفطامه وتربيته بعيداً عن والده إذ لا تستطيع إكراه من تتزوج بعد أبيه على قبول غير ولده فى بيته ، وهو لا يرضى أن تشركه فى عنايتها بأولاده ، والزوج يشعر أن الطلاق يفرق بينه وبين فلذة كبده ، ويعرضه للمذلة والهوان . فاذا ماقدر الزوجان كل ذلك سكنت ثائرتهما وعادا إلى الصواب وتصالحا ، ولم يقف بهما التشريع عند ذلك بل كان أقسى مايخوفهما به من نتائج التسرع وعدم كبح جماح النفس ، إذا تم الطلاق بلا تراجع أن حرم عليهما الصلح والعودة إلى الحياة الزوجية إلا إذا تزوجت بعد طلاقها منه بزوج آخر .

ولا يفوتنى فى هذا الموقف أن أشرح قصد الشارع من زواج الآخر لأنه كثيراً من المضللين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه يفسرون حسب أهوائهم ، والسذج والعامة يظنون أن القصد من زواج آخر هو الفصل بين المعاشرتين . كذبوا والله .

بل القصد أن يتم الزواج على نية صريحة بالمعاشرة وعلى غير قصد من كونه صورياً ينقضى لحل الاشكال بين الزوجين ، ولهذا يسمونه العوام « المحلل » .

فاذا لم تدم عشرة الزوجين وفصلت الزوجة ورغب زوجها الأول فى إعادتها ، أبيح ذلك رغبة فى جمع كيان العائلة وعناية الوالدين بأبنائهما .

فكان هذا الحل كالشبح الهائل المخيف . الذى يرهب الرجل الغيور على كرامته ويرعب شعوره . إذا تحقق أن تكون عاقبة تسرعه وطلاق زوجته تحريمها عليه ، وهى تستطيع أن تتزوج غيره وتدوم عشرتهما ،

فيملك نفسه ولا يضعها فى هذا المأزق ، وكذلك حال الزوجة الشريفة فانها تموت فرقا إذا تصورت تلك الأحلام ، وأنها تصبح كل يوم فى أحضان زوج جديد ، ومن ذلك كله تتحقق حكمة الطلاق وتعرف قيوده القاسية ، ولا عبرة بما يقوم به السفهاء من الرجال الذين لا يعرفون من الدين إلا اسمه ، ويتأكد أن الغاية منه حل الأشكال ووضع الأمور فى نصابها بين الزوجين .

وهذا حكم الله جلت قدرته :

« وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ، فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، يَعِظُكُمْ بِهِ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ، فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ . ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

وكذلك يقول الله وهو أصدق القائلين : —

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا

اللهَ رَبَّكُمْ ، لَاتُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَايَخْرُجْنَ إِلَّاأَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لَاتَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا» .

«فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ . فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ . أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» .

«وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ، إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ . وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا . ذٰلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» .

«أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ ، فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ، فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ

لَهُ أُخْرَى ، لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ . وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا » .

كيف حال المرأة بعد ذلك ؟؟ فأن ادعى البعض غيرته عليها ، وصونه لحقوقها فقد أخفق فى إقامة دليل بعد هذا التشريع السماوى الدقيق الواضح وبطلت حجة المدعين على الاسلام وأعماهم الغرض عن حقيقته ، لأنه قد توسع فى تحديد كل حقوق المرأة وأوجب معاملتها بما قرره من يوم ولادتها وفى شبابها وزواجها ، وخطبتها وحملها ورضاعها وفطامها إلى يوم موتها ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ولم يستضعفها أمام الرجل . بل مع إقراره بقوامته عليها فهو ألزمه بأمور كثيرة كلها لصالحها ، وشدد فى تنفيذها وأمره أن لا يتعداها

وقد أوردنا ماجاء بذلك فى القرآن الكريم ، وهاك ماجاء به خاصاً بأولادها ومعاملتها بالنسبة لهم وغيرذلك . حيث يقول الله العلى القدير :

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ، لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ، وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ» .

«فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» .

«وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» .

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا. يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ، أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا».

«وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ».

«لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ، أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ. مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ. حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ».

«وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ، وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً، فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ، إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ، أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ. وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ، فَإِنْ

خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون» .

«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ، وصية لأزواجهم ، متاعا إلى الحول غير إخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم فى مافعلن فى أنفسهن من معروف ، والله عزيز حكيم ، وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين . كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون» .

بهذا أفسح الاسلام صدره للمرأة وخصها بكثير من عنايته ، فاحترم حقوقها ورعاها فى جميع أدوار حياتها وجملها بالشرف والعفة . لارغبة فى الاستمتاع بها ، وقضاء اللذة والشهوة البهيمية . بل للانتفاع بها فيما خلقت من أجله ، وهو التناسل ، ولم يتركها هدفاً . بل كذلك رأينا أنه اهتم بها ، وهى زوج وأم ومرضع حتى فى موت زوجها فقد شرع لها مايبعدها عن الحاجة والفقر والعوز والفاقة ، وكما أن لها تلك الحقوق والمميزات فعليها واجبات حددها فى سبيل صونها وطهارة عرضها ، وما كانت تصرفات الرجل معها إلا احتفاظاً بها ، وغيرة عليها لااستعباداً ، ورحمة بها لااستبداداً

ولعلى بعد هذا أكون سلكت طريقاً يهدى إلى الصواب والحق . ويصل إلى اليقين بحكمة التشريع الاسلامى فى كل مافرضه ، فى الزواج ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وقد توخيت سهولة التدليل ، وتحاشيت الاطالة ، وأسأل الله التوفيق .

«قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع مايوحى إليك

«واصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» صدق الله العظيم .

واجبات الأم المسلمة

نحو مولودها

هذا المولود الذى وضعته أمه ، وضم اسمه إلى قائمة الأحياء ، وبدأ يتنسم الهواء فهو له شأن يذكر ، ولا يترك لتصرفات القدر ، ولا يفوت عليه أى شىء ينفعه ، ثم يؤسف له ويبكى عليه ، لأنه وديعة استودعها الله أمه ، وهدية منحها إياها ، وجوهرة وهبها لها . إن أهملت صغرت قيمتها ، وإن هذبت وصقلت غلا ثمنها وعلا قدرها .

هذا الطفل الذى لا يدرى ماخبأه له القدر ، ولا يعرف ماشاءه الله له ، ولا يدرك حاله ومآله ومصيره ، وهو فرد من جماعة ، ودرة فى عقد . لا بد يأخذ مقره ، ويصل إلى مكانه ، وسوف يزج به فى ميدان المجتمع الانسانى وهو بحر لجى متلاطم الأمواج ، غير محدود الشاطئ ، ولا معروف القرار . فلا يقذف به فى لجته ، ولا يترك للصدفة ، حتى يشب يافعاً ، ويعيش نافعاً ، ويحيا قوياً . عظيم القدر . كبير القيمة . ذلك إذا أدركت أمه قيمته . وقدرت مكانته . وصانت حياته ، وأوجدت منه مخلوقا عظيما ، وكونت من طفولته رجولة ، ومن صحته وعافيته شباباً وكهولة ، وأعدته للخير ، وأبعدته عن الشر

وهيأت له أسبات النعمة والسعادة . نعمة الصحة الكاملة ، والعافية الدائمة ، وسعادة العلم والثقافة . تدربه على الهمة والمروءة ، وتمرنه على القوة والشجاعة والفروسية ، وتدفع به إلى الاقدام ، وتعلمه حسن التدبير وسداد الرأى ، وتمكنه من الذوق السليم ، وحلاوة المنطق . وتغذيه بالأدب الراجح ، وتدربه على حسن المعاشرة وجميل المعاملة .

لأن هذا الذى اندمج فى عالم الانسانية . إن أهمل أمره يصبح عدو الانسانية ولا خير فى وجوده . يعمل للشر ، ويهدم أعمال الخير . كثير الضرر قليل النفع يكون كالشوكة فى الحلقوم ، والعلقم فى الطعام . كل أعماله شرور وآثام . يستجلب سخط الناس . ويستوجب مقتهم ، ويستدعى سخريتهم . ويصبح كقطعة الزجاج تخدع الناس ببريقها ، وتجرحهم بحدها . ثم يصبح عالة على غيره ، وكلا على سواه ، يفرق الجماعة ، ويذيع المنكر ، ويشيع الفحشاء ، ويدعو للنفرة والبغضاء ، ويبقى هدفا للأقدار ، ونوعا من الأقذار ، يذبل قبل أوانه ، ويدمر فى عنفوانه ويزدرى به بين أقرانه وإخوانه .

وإن عنى به ، وفاز باهتمام والديه ، وتأدب فأحسن تأديبه ، وتربى فأكملت تربيته ، وتعلم وكمل تعليمه ، وشب على الفضائل ، وتمكن من نفسه بالابتعاد عن الرذائل . ودرج بين الناس كان كقطعة الماس تأخذ بالألباب ، وتجتذب إليها النفوس ، وتستلفت إليها الأنظار ، وتبهر الأبصار ، تستعمل للتجميل ، وتقتنى للتحلية ، وهى غالية الثمن ، وعالية القدر . يتمنى الجميع الاقتراب منها ، والاستمتاع بمحاسنها ، كلما ذكر يذكر بالاعجاب ، ومتى كان هذا شأن الفتى فى تكييفه . فقد أصبح نافعاً يعمل للخير ، ويدفع الشر ،

ويذيع المكرمات ، ويعمل للحسنات ، ويكون مثالا حسناً يحتذى به ، وتضرب الأمثال بمحاسنه .

فياأيتها الأم تلك الوديعة التى استودعك الله . أمانة فى عنقك ، وهبة من الله وهبها لك . فواجبك أن تسهرى عليها من لصوص الأخلاق ، وتحذرى من أن تمتد إليها أيدى السوقة ومنتهكى الحرمات والآداب . حافظى عليها محافظتك على روحك . فان إهمالك لها إهمال لحياتك تصبحين كالجثة الهامدة لاحراك لها ولا حياة .

لاتتركى طفلك فى مهده ، ولا تكلى أموره لأحد غيرك . ولا تركنى إلى سواك فى أى شأن من شؤونه وكرسى كل وقتك للعناية بأمره ، ولاتجعلى سهرك عليه عند مرضه!! بل تعودى اليقظة الدائمة . والسهر المستمر . حتى ينمو نموه الطبيعى فلا تصل إليه الأمراض والأسقام . لأنه كالزهرة اليانعة والغصن الرطب ، وأنت كالبستانى الحذق ، إن أهمل غصنه اعوج ومال ، وإن عنى بأمره شب على طوقه وكال الاعتدال ، وحاذرى أن يتصلب عوده فيصعب اعتداله . ويسهل كسره . فلا يمكن إصلاحه أوجبره .

أنت مدرسته الأولية ، ومنك دراسته وتعليمه وثقافته ، وكلما يلتقطه فى صغره . سيلازمه حتى قبره . فاشغلى مخيلته بكل جميل وحسن . وسايريه وساليه . واصبرى عليه ولاتتعجليه ؛ وفى طفولته حاسنيه ولاتخاشينه . خففى عليه وقع هفواته ، واغفرى له زلاته وهناته ، وعوديه التوبة والاستغفار ، واعذريه لأنه لايستطيع الافصاح عن رغباته ، ولا الاشارة إلى أمانيه وطلباته .

أيتها الأم : ان تعاليم الاسلام قد وضعت الجنة تحت أقدامك . وأجبرت ولدك على حبك واحترامك ، فادعمى حبه لك بالاهتمام به ، وثبتى احترامه لك بالعناية بشؤنه ، وقدرى طفولتـه وكهولته وشبابه ، وضعى خطط معاملته وفق سنه . وطبق سنين عمره . وحافظى على تجلدك ومرانك واحفظى خطواتك معه بحلمك وأمانك . واظهرى له رضاك عن الجميل من أعماله . وابذلى له مايشعره بحبك وحنانك ، فيشب متعوداً على مرضاتك . مقتدياً بك فى عمل الجميل من حسناتك ، واحرصى على إبعاده عنك وقت غضبك . ولا تجعليه ينظر إلا لكل حسن وجميل منك .

افتحى عينيه لنور الصدق . وعوديه عليه . وأبعديه عن ظلام الكذب . وأطفئ ناره عن ناظريه . اجعليه يشب على الصدق ، ولا ترغميه على تصنعه . كارها للكذب فلا يتقنعه . حتى تكون كل أفكاره ناضجة . وحركاته صريحة . وابذلى له النصيحة بكل هوادة وسكون . لا تنهريه . ولا تضربيه . ولا تؤذيه . ولو تكررت غلطاته . وعظمت هناته . فان الأذى يدفعه إلى التهور وعدم المبالاة ، والشدة تكرهه على تكرار مافعل مع المغالاة .

انظرى إليه طفلا فى مهده . ومراهقاً فى عمره . وشاباً فى شبابه ، ولا تنتظرى منه مالا يتفق مع عمره ، ولا تطالبيه بما ليس فى مقدوره . لا تظنين أنه خلق كاملا ، ولا تعتقدين أنه لكل ما تطلبين منه من غير تدريب عاملا فهو كقطعة المطاط ، لا يكمل شكلها ؛ ولا يحفظ كيانها إلا بمجهودك وقدرتك فاما تصلحين فتصلحيه . وإما تجهلين فتتلفيه . حاذرى أن تمتد إليه يد غير يدك فلا تكلى أموره لغيرك ، ولا تركنى فى أداء واجباته لخدمك . واصرفى

كل وقتك لأولادك . فقد خلقت لهم . ووهبهم الله لك . فلا تأتمنى غيرك على جواهرك . ولا تفرطى فى أمانة ائتمنك الله عليها . واحذرى أن تفرطى فى اختلاط أبنائك بغيرهم ، ولو كانوا من أقاربهم وأهلهم . حاذرى من إهمال الخدم . فلا تملكين بعد تفريطك إلا الألم والندم .

الطفل كالزهرة . إن وجدت فى باقة متجانسة طيبة الرائحة . عبق عطرها وزكت رائحتها ، وإن تركت بين الحشائش امتصت أزاهيرها ، وذبلت وضاعت رائحتها ولا يمكن رد مافقدت ، ويستحيل إعادتها إلى ما كانت عليه وربما ضاع منها كل شىء إلا أشواكها ، وبعد الابتهاج بها والانتعاش برائحتها ينفر منها ، ويحرم استعمالها ، وتنمو أشواكها فتدمى الأيدى وتجرح الأرجل .

إذا أدركت ذلك أيتها الأم الحنون ، فاتق الله فى ولدك . وثبتى فى قلبه حبه لك فى حياتك ومن بعدك ، وإياك أن تمثلى فى جميع أدوارك وأطوارك معه إلا الخير والنافع .

أيتها الأم الحنون . ليس حنانك فى الاشفاق عليه أحسن أو أخطأ . كلا إن حنوك عليه بتهذيبه إن أحسن وتقويمه ان أخطأ ، وتعليمه إن جهل ، وتدريبه إذا قصر ، وتعويده على الخير إذا أساء ، وتنمية شعوره على المعروف إذا أحسن . فلا تعتبرى الاشفاق عليه وحده . بل كونى كلك عيناً ساهرة ، ونفساً دائمة الحركة ، وكرسى حياتك له .

أيتها الأم : عودى ولدك على الاباء والشمم ، واغرسى عنده العظمة والأنفة وعدم التواكل وأفهميه أن كسرة خبز من كده . خير من أشهى

الطعام من عمل غيره ، لقنيه حب العمل والسعى وادفعيه إلى الجهاد الشريف فى طلب العلم للعلم . علميه أن العلم أساسه معرفة الواجبات ، وأول الواجبات الايمان بالله ، وإطاعة أوامره ، والابتعاد عما نهاه ، واحترام كتاب الله العزيز الحكيم ، والايمان بالأنبياء المرسلين . علميه أن العلم للقوت يضيع إذا لم يكن القوت ، وإنما العلم ليتعلم الناس يبقى مابقيت نفوس المتعلمين ، ويحفظ ذكر معلميه ماداموا لهديه متبعين ، ولا يكون من وراء ذلك التقاعد عن السعى للرزق . بل يسعى والله لايضيع أجر العاملين .

أيتها الأم عودى ولدك أن يعطى ولا يعطى ، وأن يتصدق ولا يتصدق عليه ، وأن ذل السؤال ، وإهانة الاستجداء أشر الأمراض وأفتك الأدواء لاشفاء له ، ولا دواء وهو علة العلل ، ومبدأ الخيبة والفشل ، واغرسى فى نفس ولدك الاخلاص لنفسه وللناس ، والوفاء لكرامته والاحتفاظ بعزته وعظمته ، وليقاتل التواكل وليحارب الكسل وليعود نفسه على البسالة والهمة والشجاعة .

أيتها الأم : عودى ولدك أن يكون حليما فى طبعه . كريما فى معاملاته قنوعا فى رغباته . طموحاً فى آماله . سباقا للخير ، مقداماً فى المعروف ، كثير الأصدقاء ، قليل الأعداء ، اغرسى فى قلبه البعد عن الحقد ، وفى نفسه محاربة الحسد ، وفى روحه كل دوافع الجد . وفى ميوله حب الخير للناس وعوديه أن يحب للناس مايحب لنفسه

أيتها الأم : شخصى الفضيلة وانشرى علمها عليه ، وابعثى أنوارها دائما أمام عينيه ، وابعثى عطر شذاها فى كل مكان يحل فيه ، واوقفى حياته على أن

يكون من أنصارها ، وأن يعمل دائما لرفع لوائها ، ثم ذكريه بنتائج الرذيلة واذكرى أمامه كل حين عواقب شررها وضررها ، اذكرى أمامه دائما عواقب الأطهار الأخيار ومآل الأشرار الفجار ، وقارنى بينهما ونتائجهما بما يحبب إليه الخير ، ويدفعه عن الشر ، واملئ قلبه بالجود والكرم ، وعوديه على السخاء وحسن الشيم ، وشجعيه على إكرام أهل الحسب ، واحترام أهل النسب ، والابتعاد عن أصحاب النعم الزائفة ، والمراكز الزائلة ، والمقامات المزيفة

يشجعك على المضى فى واجبك الكتاب المبين ، وتنزيل العزيز الحكيم فاجعليه من حفاظ القرآن ، ومن رجال التقوى والايمان ، وعلميه سيرة الرسول الأمين والنبى الكريم . له فيه صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، والأسوة المستحسنة ، فهو الهادى إلى الصراط المستقيم ، والخلق القوى المتين ، علميه تاريخ المختار ، وماقاساه فى سبيل دعوته من الأدوار والأطوار وما لاقاه من أعدائه المشركين الكفار .

علمى ولدك التاريخ ، وهو مرآة الحوادث ، وكاتم أسرار الزمان ، والشاهد العادل على ما كان من كل إنسان ، وتاريخ سيد الأنبياء وخاتم المرسلين جامع للعبر ، وشامل للحوادث . وملآن بالأمثلة . فكم لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته إلى الله من الشدائد والاضطهاد وكم قابله أعداءه الكفار من المتاعب والأهوال ، وكم كان من ثباته وحلمه العظيم ، وكم قام به عليه الصلاة والسلام من الصبر والخلق الكريم .

أيتها الأم : اذكرى لولدك تاريخ ذلك المشرع الكبير ، واشرحى له

كيف دام ثباته أمام هجمات أعدائه المشركين ، وسدد الله خطواته فى مقاتلة الوثنيين . وقف أمامهم ولم يعبأ بما كان من جموعهم ، وماأعدوه من عديدهم أنكروا عليه حقه بينهم ، وعزوته فيهم ، وعشيرته المكرمة عليهم ، ولكنه بقوة إخلاصه ، وشدةعزماته ، وثبات يقينه ، ومتانة إيمانه ، صمدلهم ، وكان كالطود العظيم . لايتململ ولا يتزعزع ، ولايشكو ولايتوجع . حتى تم له النصر المبين .

أيتها الأم : لقنى ولدك أعمال هذا المصلح العظيم . الذى غير وجه الأرض ، ووضع أنظمة العمران . ودساتير الحياة ، وقلب العقائد ، وأسس القواعدالثابتة ، التى رفع بها منارالهدى ، وأنارالقلوب بالايمان بالله الواحد القهار ، وعمرالنفوس باليقين بقدرة العزيز القادرالجبار . وجاء بالنور الذى بين يديه . لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . كتاب من الله العزيز الحكيم . ففتح أبواب الحياة الطيبة للناس ، وسن الشرائع للمجتمع الانسانى وطهر الأرض من الوثنية والأرجاس ، وبين أطيب العادات وأشرف المعاملات ، وكون خلقاً جديداً ، وأمة عاملة . بعد أن كانت جاحدة خاملة ، ودفع فيها روح الجهاد للحياة وبعد الممات ، وسدد خطواتها ، وشد عزماتها ، ودفعها دائماً إلى الأمام .

أيتها الأم : إن خير المواعظ عظات الهدى ، ومن أهدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أزكى من أعماله وأطهر من سيرته وحياته ، ومن أعلا من قدره ومقامه ، وفضله واعلامه ، فلقنى ولدك أعماله وأفعاله ، وكل شىء يتعلق بحياته عليه الصلاة والسلام وسيرته العاطرة فكل ذلك أكبر

ما يقوم به العظماء ، ويتمنى التوفيق للعمل به الملوك والأمراء ، وأكبر دستور تسير عليه الأمم والزعماء ، وأدق نظام يستتب به الأمن ، وأقوى حكم يستجلب اليسر والرخاء واليمن . هو الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، والمنهاج القوى السليم .

أيتها الأم : راجعى حياة الرسول الأمين ، وراجعى كيف كان حكيما فى رأيه . متيناً فى تدبيره ، رؤوفا فى أوامره . متعاوناً مع المؤمنين فى مشورته مواسياً لفقيرهم ، مؤاسياً لمريضهم ، مجاملا لمصابهم محسناً لمحتاجهم . كريما لعزيزهم ، حليما على صغيرهم ، أميناً على أحوالهم ، علمى ولدك حنكته ودرايته التى أبداها فى حروبه للكفار وغزواته لهم ، ومعاركه معهم ، ومواقفه أمامهم ، وهم جموع ، وهو وأنصاره قلة . وسيوف الأعداء بتارة ، وكانت كل قوته وقومه فى الايمان بالله والاعتماد على نصره المبين ، وكانت تلك القوى هى التى تمزق الأعداء شر ممزق ، ويكتب له النصر المؤزر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

علمى ولدك . أن الحياة جهاد ، وأن الانسان مهما طال به الأمل ، وطال الأجل ، لابد إلى مبدئه يسير ، وإلى منبته من الأرض يصير ، خلق من التراب . «منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى» وأن الدنيا دار الممر ، وأن الآخرة دار المستقر ، فليدخر من ممره لمستقره ، وليحفظ لنفسه من الأثر الصالح من عمله فى دنياه إلى آخرته ، وليجعل من رسول الله أسوة حسنة ، فيسير على نهجه ، وليعمل على منواله ، وليقتف أثره ، وليعمل بأمره ، وينته عما نهاه .

على ولدك : أن يقتدى بالصحابة والأنصار والمهاجرين واقرئى عليه سيرهم وأخبارهم واذكرى له تاريخ الخلفاء الراشدين بعد رسول الله الأمين ، ومن توالوا من بعدهم ، وادرسى لولدك سيرهم وأخبارهم ، واجعلى هذا التاريخ العاطر ، وأعظم المفاخر . أولى من الحكايات والأحاديث (الحواديت) والخرافات ، مايعمر به قلبه ، ويشغل به فؤاده ، ويذكى نار الحمية والشجاعة فى نفسه . اذكرى له تاريخ أبى بكر الصديق وسخاءه وكرمه وجوده ومناصرته للرسول الأمين وما كان من شجاعته وإقدامه ومصاحبته للرسول الكريم فى الغار .

على ولدك : سيرة الفاروق عمر بن الخطاب الذى نصر الله به جيوش المسلمين وهزم المشركين حتى اشتهر بين قومه بسيف الاسلام البتار .

اذكرى لولدك : طهارة عثمان بن عفان وخدمته للاسلام بجمع القرآن والمحافظة عليه ولم يرفع الرسول الأمين إلى الرفيق الأعلا إلا بعد أن جمع القرآن وقرأه عليه ورتله بين يديه .

اذكرى لولدك علياً : كرم الله وجهه ابن عم الرسول وزوج فاطمة البتول ومدينة العلم ورب السيف والقلم .

على ولدك : واقعة تبوك وماكان من خالد بن الوليد وجيوش المسلمين وقد رفع الله علم الاسلام بجهادهم وجهودهم على روابى الشام والفرس والصين وبلاد الأفغان ، وامتد رواقه إلى بلاد الرومان .

ثم عودى به إلى مصر وقد قدمها عمرو بن العاص ورفع راية الاسلام على ربوعها ، وأسس دعائمه قائمة حى على الفلاح إلى الآن .

علميه كل ذلك : وابعدى عنه «أبورجل مسلوخة» «البعبع» «أبو خيشة» ومزقى كتب ألف ليلة وليلة ، والسندباد البحرى ، واللص الشريف ، ونوادر حافظ نجيب ، وحرمى عليه كش كش بك ، والريحانى ، ولا تتركيه إلى تصاريف القدر .

علميه أن الدين ، والوطن ، ومعاملة الناس من أهم مايجب احترامها . وأداء واجباتها ، وتأدية مايجب لها ، وهى فى مجموعها كل شيء . عليها مدار العمران ، ونصرة الاوطان ، والتمتع بالرخاء ، والانتصار على الأعداء . منها جمع الكلمة . وتوحيد الرأى ، وجمع الصفوف ، وانتصار الحق ، ونصرة الضعيف ، وكسر حدة القوى ، وإيقاف المطامع ، والوصول إلى غاية الأمل ، ومنها صلة الأرحام ، ومنع الخصام ، وتولد المحبة ، وإيجاد الألفة ، واتحاد العناصر ، ووصل الأواصر . منها الطمأنينة والأمن وسيادة العدل ، ومنع المظالم ، وإيتاء كل ذى حق حقه .

هذه الجواهر : أبهى الدرر فى تيجان الأمم . وأغلى اللآلىء على هامات الرجال ، وأعظم الشرف على صدور الأبطال ، فجملى ولدك بها وادخريها له واعملى دائما على وصوله إليها ، وحصوله عليها .

لا يتم لولدك الحصول على ذلك : إلا إذا شب عزيز النفس ، أبى القلب مترفعاً عن السفاسف ، متعالياً عن الكبائر . بعيداً عن الصغائر ، عف اللسان طاهر الذيل ، نقى السريرة ، كريم الخلق . متواضعاً حليما ، أميناً على الأعراض ، بعيداً عن الأغراض . شجاعا ، مقداما ، عظيما هماما .

عليك وحدك المسؤلية لانك قدقيدك شاعر مصر طيب الله ثراه بقوله :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طاهر الاعراق

عوديه على الرجولة ، لا يظلم ولا يظلم ، ولا يعتدى ، ولا يقبل الاعتداء عليه ، وأفهميه حقوقه كلها حتى لا يفرط فيها ، ولا يتسامح فى الاعتداء عليها ولا يتجاوزها إلى حقوق الغير . يدفع الباطل بالحق ويدافع عن الحق بالصدق لا تأخذه هوادة ، ولا يخشى المجاهرة بالحق أمام الكبير أو الصغير ، ولا يخاف لومة لائم ، أو هيبة حاكم ، وليكن مرفوع الرأس ، طاهر الجبين . يعطى الحق لمستحقه ويحترم الكبير لا عن ضعف ، ويوقر الصغير لا عن غاية ، وليتق الله ويكون من الصالحين .

أيتها الأم : التاريخ أب العبر . وكما قلت ليس أمامك أعظم من تاريخ نبينا الأمين ، ولهذا فقد وجب عليك أن تنتهزى فرصة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقدمى إليه هديتك بالسيرة المطهرة ، وهى خير من الحلوى ، وما تعودوه الناس ، ويدفعون بأبنائهم إلى المراقص ، والملاهى ، والسينما ومواطن الارجاس .

وها أنا عاونتك ، وساعدتك ، وذكرتك ، وأنت أول من يصغى : وأشعر أنى قمت بواجبى فقومى أنت بواجبك .

وليس هذا خاصا بابنك الولد الذكر . بل هولاء بنائك من ذكر وأنثى ، وفتاتك أحق وأولى ، وقد تفشت الرذيلة ، وطغت على الفضيلة وانتزعت الفتاة من خدرها ، وخفضت من قيمتها وحطت من قدرها ، فعليك أن ترجعى إلى خديجة الكبرى ، وفاطمة الزهراء ، وعائشة أم المؤمنين ، والكثيرات غيرهن من نساء المسلمين . فعلمى فتاتك سيرهن وما كن عليه ، من أدب ،

ووقار ، وعفة ، وعزة نفس ، وعصمة ، وتحصن ، مع العلم الغزير ، وسعة الاطلاع ، والشرف والأدب .

علمى فتاتك المحافظة على الشرف . وعزة النفس ، وأفهميها أن العفة والشمم والحصانة تيجان الفتاة ؛ فان حافظت عليها عاشت مرفوعة الرأس . وإن تهاونت فى واحدة منها ، فقد سقطت سقوطا لاقيامة بعده ، ويبقى أثره إلى البنين والاحفاد . لايمحى مهما كرت عليه الأعوام .

علمى فتاتك واجباتها لدينها ولوالديها ولاخوتها ولزوجها ولأولادها وللناس أجمعين وهى أشد مسئولية من الأبناء ، وإذا أدركت . أيتها الأم أن هذا واجب عليك ، وأمانة فى عنقك ، أعتقد أنه يكفى لان تتفرغى له ، وتقومى به ، ولهذا بعد أن تؤدى واجبك يصلح الله حالك ، ولا تتركى أولادك لتصاريف القدر .

أرجو الرجوع إلى تفسير الآيات القرآنية الواردة بالكتاب وتفسير معانى غريب الألفاظ بآخره

زواج الرسول الأمين

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

وأزواجه أمهات المؤمنين عليهن الرحمة والرضوان

مقدمة

موقف النبي صلى الله عليه وسلم

من أعدائه ومفترياتهم عليه

الحقد والحسد من شر الخصال ، وأضرها أثراً . فهما يدفعان إلى تدبير المكائد ، ونصب الشراك . لتلفيق التهم ، واختلاق الأكاذيب ، إشباعا لشهوة الانتقام ، وإطفاء لجذوة نيرانها التى تغلى فى الصدور وهما يزجان بصاحبهما الى ميدان التفكير والتدبير . لابتكار أساليب الشر ، ودعايات السوء ، ونشر الأكاذيب ، وترتيب الأدلة والأسانيد : والتبجح فى إقامة البراهين عليها ، وإحكام مايدبر من مكائد ، وليس أضر من مكائد الحاسدين ، ولا سبيل إلى نزع الحقد من نفوس أصحابه . ولا إلى محو آثاره من صدورهم ، ولذا يقول الشاعر : —

كل العداوة قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك من حسد

هذا شأن أعداء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام . فانهم قد وقفوا حياتهم لبحث أعماله وتمحيص تصرفاته . ودرس أخلاقه وصفاته . وقتلوا أعمارهم فى التدقيق والتنقيب عما يمكن أن يؤخذ عليه فما استطاعوا . وضل سعيهم . ولم يصلوا إلى شىء . ثم نكصوا على أعقابهم . وهم يظنون أنهم

بالغوا أغراضهم . أو يصلوا إلى مآربهم . أو تصح أحلامهم . فضاعت حيلهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وإذ ذاك فقد دفعهم مافى صدورهم . من حقد وحسد . وحفيظة وضغينة. إلى التلفيق والافتراء . وزجوا بأنفسهم حتى وقفوا عند موضوع زواجه عليه الصلاة والسلام وقد عمدوا إلى الاختلاق والتضليل والكذب على الحقائق والتاريخ . واجتهدوا فى ترويج مفترياتهم والله يشهد انهم لكاذبون ، وذلك لأن نور الحق وهو من هدى الله يظهر الحق و يزهق الباطل ، ويفسد ماينصب من شراك وأحابيل فيذرها هشيما تذروه الرياح .

اختلق أعداء الاسلام على النبي الكريم : أنه رجل شهوة ولذة ، وقد جاء بدين يبيح لأتباعه وأنصاره الانغماس فيهما ، ويسمح لهم بزواج أى عدد من النساء وأفرغوا جعبتهم فى تلك المفتريات على غير هدى ، وقد عميت أبصارهم وضلت بصائرهم عما كان من جميل صنعه ، بعد انتصاراته فى حروبه وغزواته ، من زهد وقناعة ، ورغبة عن أعراض الدنيا الزائلة ، يوزع الأسلاب والغنائم على المجاهدين ويزهد فيها وهو فقير ، ويتركها لهم معرضا عنها وهو فى حاجة إليها ، ولم يطلب مالا أو سلطانا ، ولم يعمل شيئاً لنفسه . بل كان جل قصده وغاية أمله . الدعوة إلى الله الواحد الاحد ، وتطهير قومه من أرجاس الجاهلية ، ورفع مرتبتهم من الخضوع والتذلل لأصنام ينحتونها بأيديهم ، ويدعوهم إلى العزة والشمم والشرف وإباء النفس ، وكان تعدد الأزواج بغير قيد أو تحديد عدد مباحا عندهم شائعاً بينهم قبل رسالته عليه الصلاة والسلام . فأسس بنيان الزواج على ماأسلفناه من القواعد .

عجز هؤلاء الماكرون عن الوصول إلى ترويج مكائدهم بعد أن تحققوا انهيار أسسها بقيام ذلك الرسول الأمين . بما أعز قدر الانسانية وحفظ قيمتها من دعوته الصادقة لله وللفضائل ، وقد كان حريصاً على كرامة أمته ، محسنا لقومه ، شفوقا على ضعيفهم ، مواسياً لمريضهم ، باراً بهم ، ولم ينصرف فى دعوته إلا إلى الروحانية القدسية ، وهى الدعوة إلى الله وحده معرضا عن المادة وهو يراها عرضا زائلا ، وحطاما فانيا .

رجع أعداؤه عليه الصلاة والسلام إلى صفاته الخاصة . فوجدوا فيه : الأمين المستقيم ، والشجاع الكريم ، والبر الرحيم ، والمحسن المتصدق ، والأليف الرؤف ، والهادى الرزين . تمسك بالفضيلة فعظمت قيمتها ، وحارب الرذيلة فلم يمسسه شىء منها حتى قبل رسالته . فقد كان شريف النفس طاهر الذيل . عف اللسان ، بعيداً عن أرجاس الجاهلية . كل ذلك لم يقنعهم ليهتدوا إلى الخير ، أو يرشدهم للصواب ، لأن نار الحقد ثائرة فى صدورهم . فعموا ، وصموا . ثم عموا وصموا . ونفثوا سمومهم ، ونشروا أضاليلهم ، غير أن كلمة الله هى العليا . فقد نكست أعلامهم ، وطاشت سهامهم ، وضلت أحلامهم . لأن للحق أنصاراً ، يبطشون بالباطل ، ويهدمون الأضاليل . فقد حفظ التاريخ مالاريب فى صحته من تصرفات ذلك النبى وما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن فيما جاء به وعمله إلا مبلغا ومنفذاً لأوامر ربه . وأنه قام بما أرسل به . وأدى الأمانة ، وأوفى بعهده لمولاه

ولم يأت بشىء من عنده . بل كانت تصرفاته خضوعا لربه وتضحية لنفسه إرضاء لله جل وعلا

موقف النبي بين قومه
وأسباب زواجه

خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : —

«قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ، وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ . إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» ،

وقال تعالى شأنه : —

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى . ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى» .

لقد تحدى القرآن كل من يتصدى لصحة تنزيله ، فطأطأ أعداؤه رؤسهم وما استطاعوا إنكاراً ، وهذه آيات الله صريحة بما أمر الله به رسوله ، وما قضى عليه بتنفيذ أمره ، وما شهد له به من أن كل ذلك من عند ربه .

وكل من تقصى سيرة الرسول ، وإن لم يكن من أتباعه وأنصاره . يعتقد أنه لم يكن له صلى الله عليه وسلم شأن خاص . فقد حملته أمه ، ومات أبوه قبل وضعه ، ووضعته أمه وماتت قبل إتمام رضاعه وفطامه ، وكفله جده عبد المطلب . وكانت له عنده منزلة خاصة . لا تفرقه عن أولاده وفلذات كبده

وكان عبد المطلب : عظيم القدر ، كبير الشأن ، عالى المكانة فى قومه . محترما فيهم ، محبوباً عندهم ، ولأولاده مكانتهم بينهم ، فلما شب الرسول وترعرع خففت رعاية جده وعنايته به عنه عليه الصلاة والسلام لوعة الحرمان من والديه .

وقضى الله ولا راد لقضائه أن يموت جده ، ولما يكتمل الثامنة من عمره وكانت هذه النكبة مما أظهر صبر الرسول وجلده وجعله موضع إعجاب قريش وأحاديثهم . وقد كفله عمه أبو طالب ، وهو رقيق الحال ، كثير العيال . لم تكن له مكانة عبد المطلب فى الثروة والمال ، ومع ذلك فقد قرب ابن أخيه منه وآواه إليه وأنزله من قلبه منزلة أولاده لما كان يبدو منه من ذكاء ، وعلو نفس ، وهدوء ، وسكينة ، وأدب ، وعفة ، وشمم ، ونجابة ،

ولما أراد عبد المطلب الخروج إلى الشام فى تجارة له ، ولم يبلغ ابن أخيه الثانية عشرة من عمره اصطحبه معه . فبدت له منه أثناء الرحلة علامات المروءة والهمة . والشهامة ، والكرامة وعرف عنه الجد والكد والعمل والنشاط .

ولما اكتمل سن الشباب حتى بدت فيه علامات الرجولة والكمال ، وقد عرف عنه عليه الصلاة والسلام . أنه كان جميل الخلقة ، قوى الساعدين . صحيح البدن ، معتدل القامة ، كامل العافية ، شديد القوى ، وهو من أعظم قبائل العرب حسباً (قريش) وأكرمهم نسباً ، وأعزهم جاها ، وقد اشتهر بالأمانة . والاستقامة ، وبعده عن النقائص ، وطيش الشباب .

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد من كبيرات نساء قريش جاها ومالا وحسبا ومجداً ، وقد تزوجت برجلين من عشيرتها ورغبت عن كليهما لطمعهما فى مالها إذ كانت تبعث بأموالها فى تجارة إلى الشام مع كل منهما .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره وعرف عمه عبد المطلب أن خديجة فى حاجة إلى من ترسله فى تجارتها فود مكاشفة ابن أخيه ليعلم رغبته فى القيام بتلك المهمة فأطاعه ، وقبل رأيه ،فأبلغ عبد المطلب ذلك إلى خديجة التى رحبت بالرسول الأمين ، وبعثت به مع خادم لها اسمه ميسرة إلى الشام . وخرجت القافلة إلى طريقها فى البيداء حتى إذا ماوصلت إلى الشام ، واختلط الرسول برجال التجارة والأعمال ، نال من قلوبهم منزلة روجت تجارة خديجة ، وضاعفت أثمانها ، فزاد ربحها ، وتمكن من الاتجار بأموالها فى سلع أكثر رواجا وأعظم ربحاً ، وعاد بقافلته إليها ، وميسرة يقص على مولاته عجائب ماشاهده من إخلاص وجهود ووفاء ، فاكتسب قلبها ونال حبها ، واشتد إليه ميلها ، وأصبحت تتمنى زواجها منه وقد حقق الله آمالها ، فخطبته لنفسها ، وكافأها الله تعالى ببلوغ أمنيتها .

كانت السيدة خديجة فى الأربعين من عمرها ، والرسول فيما يقرب من الخامسة والعشرين سنة . فهو فتى فى ريعان صباه وعنفوان شبابه ، وهو رجل جميل الخلقة ، طلق المحيا ، وهى سيدة لم تبلغ من جمال الخلقة مايجب أن تكون عليه بالنسبة لجماله . إذ كان يفوقها جمالا ، ولكنه كان ماهماً بأمر ربه . فقد نظر إلى مكانتها من قومها ، وموقفها فى عشيرتها .وطهرها وعفتها

فتزوجها وعاش معها إلى أن بعثه الله نبيا ، وأرسله هاديا ومبشراً ونذيراً فكانت أول من أسلم من النساء والرجال ، فصدقته وعزرته ونصرته ، وكان لهذا أثره العظيم فى قومها . لما لها من علو المكانة ، وكبير التقدير عندهم . فأسلم الكثيرون ، واستمرت تعاونه وتعضده ، وعاشت معه عليه الصلاة

والسلام إلى أن بلغت الخامسة والستين من عمرها . وتوفيت بعد أن عاشرته خمسا وعشرين عاما لم يتزوج من غيرها ، وتعـــدد الزوجات كان مشروعا بين العرب .

وكانت خديجة رضوان الله عليها من خيرة الأزواج ، وقد رزق بكل أولاده منها ماعدا إبراهيم فانه من مارية القبطية التى أهداها إليـه المقوقس . أما أولادها الذكورمنهم : القاسم ، والطاهر ، والطيب ، ومن البنات : زينب ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

ومن آيات اللهوحكمه ؛ أن رفع إليه الأولادالذكورقبل ممات الرسول .

وكان العرب يقيمون وزنا لمن يرزقون به من صبيان . فلمـا قضى الله أمره . ومات أولادهما قابله الوالدان بالصبر والرضى .

أما ماكان من عادات العرب من وأد البنات . فقـد هدم الرسول هذا التصرف الشائن ، وزوج كبرى بناته زينبا إلىالعاصى بنالربيع بن عبدشمس وكان لعمه ولدان : عتبة ، وعتيبة . فزوجهما من ابنتيـه : رقية ، وأم كلثوم . ثم ماتت خديجة ولم تعقب بعد . وعاشت فاطمة فتزوجت من على بن أبىطالب ابن عم أبيها ، وهىالوحيدة من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام التى عاشت بعد رفعه إلى الرفيق الأعلا .

ضرب الرسول الكريمالمثلالأعلا فى الصبر لحكم الله ، والرضى بقضائه فقد مات كل أولاده الذكور حتى إبراهيم ، وهذه من آيات الله وحكمته . إذ ربمـا إذا بقى أحدمنأولادهالذكور بعده . يكونمثار القول فى خلافته لأبيه . والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

جرى من أمر الله حدث فى حياة خديجة رضوان الله عليها كان له شأن فيما بعد . ذلك أن عرض عليها من الرقيق شراء عبد اسمه زيد بن حارثة . فاشترته وتبناه الرسول ، وكان العرب يسمون من يتبنونهم أدعياءهم ، فأصبح هذا العبد الرقيق دعيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله قصة سنوردها على حقيقتها لأن أعداء الرسول حرفوا حقيقتها ، وصوروها بما أملى عليهم الحقد والحسد .

أما أزواج النبي أمهات المؤمنين حسب ترتيب زواجه منهن بعد وفاة خديجة عليها الرحمة والرضوان فهن :—

أولا : السيدة «سودة بنت زمعة» أرملة السكران بن عمرو .

ثانيا : السيدة «عائشة» بنت أبى بكر الصديق

ثالثا : السيدة «حفصة» بنت عمر بن الخطاب أرملة خنيس بن حذافة

رابعا : السيدة «زينب بنت جحش» مطلقة زيد بن حارثة .

خامسا: السيدة «زينب بنت خزيمة» أرملة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

سادسا : السيدة «هند بنت أبى أمية الشهيرة بأم سلمة» أرملة عبد الله بن عبد الأسد .

سابعا : السيدة «أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان» أرملة عبيدالله بن جحش .

ثامنا : السيدة «ميمونة بنت الحرث الهلالية» خالة خالد بن الوليد .

تاسعا : السيدة «جويرية بنت الحرث» أرملة مسافع بن صفوان المصطلق

عاشراً: السيدة «صفية بنت حي» أرملة كنانة ابن أبى الحقيق .

وكلهن أرامل ثيبات متكهلات ماعدا عائشة رضوان الله عليها ؛ وسنأتى على تفصيل زواج كل واحدة منهن ومناسباته وملابساته وحكمة الله التى أرادها

ماتت السيدة خديجة بعد حياة بلغ أمدها خمساً وعشرين سنة . أى بين الخامسة والعشرين وبين الخمسين من عمر النبى الأمين ، وهو سن الشباب والفتوة ، وزمن الرجولة والقوة ، وقد قضاه وهو زهرة عمره معها ، وهى ثيب تفوقه خمسة عشر عاما فى العمر . فلم يهتم بالدنيا وزخرفها ، ولم ينصرف إلى الشهوة ولذتها ، وقد انقضى فى فترتها عشر سنوات من عهد رسالته كلها جهاد وكفاح ونضال ، وهذا وحده كان كافياً لاقناع المضللين ولكن «إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» —

وهاهى الأمثلة البارزة لدحض مفترياتهم وحسبنا الله ونعم المعين

سيرة زواج السيدة

ســـودة بنت زمعـــة

رضوان الله عليها

امتاز المهاجرون والأنصار بحسن بلائهم ، وقوة دفاعهم ، لنصرة دين الله ، وكان من أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام «السكران بن عمرو» وقد هاجر إلى الحبشة مرتين تصاحبه فيهما زوجته السيدة « سودة بنت زمعة » وقد أسلمت وأحسنت إسلامها ، وكانت من فضليات النساء تحملت المشاق والمتاعب فى سبيل الهجرة ، ولما عادا من الحبشة بعد هجرتهما الثانية توفى زوجها ، وتركها من غير عائل ولا معين ، وقومها رجال أشداء غلاظ القلوب فهم أكثر مقتا لرسول الله ، وأشد عداوة له ، وقد جاوزت الخامسة والخمسين من عمرها . فلما سمع بأمرها رسول الله خشى عليها إن عادت إلى قومها وهم كفار وتمسكت باسلامها فانهم يفتكون بها أو يردونها عن دينها أو يفتنونها فيه . أو تدوم معاكستهم وتعذيبهم لها ، وليس من خلقه عليه الصلاة والسلام عدم النجدة ، وقلة المروءة . لاسيما وأنها فى سن ربما لا يقبل عليها من يتزوجها ، فرأى من مكارم أخلاقه أن لا يتركها هدفا لسهام قومها ، وعرضة للعوز والحاجة ، وأن أحسن ما يقابل به حسن بلائها واعترافا لزوجها ، وجهاده فى سبيل الله ؛ وأعظم ما يكافئها به أن ينقذها من مأزقها ، ويتزوجها ولو أنها تفوقه فى العمر ، وتقل عنه جمالا فى الخلقة ، لأنه لم ينصرف إلى الشهوة بل كان يعمل لنجاح رسالته ، وتم له ما وفقه الله له . فقد قابل قومها هذا

النبل ، وسمو الخلق ، وقدروا هذا الصنيع الجميل ، وأكبروا أنه عليه الصلاة والسلام يؤثر الفضل لغيره خدمة لدين الله ، ومكافأة للمجاهدين فى سبيله فعظموا هذه الشمائل ، وذلك الشعور . فأسلموا وأحسنوا إسلامهم ، إكباراً لعظيم همته ، وإعجاباً بمروءته وصاحبوه فى كل غزواته ، وناصروه وعاشت معه ، ولم يعقب منها إلى أن توفيت إلى رحمة الله بعد أن عاشرته مالا يقل عن عامين كاملين .

ومن ذلك يكون الرسول قد تزوجها ، وهى ثيب ، تفوقه فى العمر ، وهو فى زهرة الصبا وعنفوان الشباب ، وهو مبعوث للناس كافة ، فماذا كان يمنعه عن زواج عذراء ناهدة إن كان ينصرف إلى الشهوة واللذة ، فضلا عن حياته الطويلة التى قضاها مع السيدة خديجة ، وقد كانت من قبل ثيبا ؟ ؟ اللهم لولا علو همته ، وعظيم مروءته . لأنه لا يعمل إلا بأمر ربه ، وليس له من الأمر شىء ، ولم يحفل بالدنيا ومتاعها ، وما عند الله خير وأبقى .

هذا حاله عليه الصلاة والسلام مع زوجه السيدة سودة بعد حياة طويلة مع السيدة خديجة من قبل

سـيرة زواج
السيدة عائشـــة
رضوان الله عليها

لايجهل إنسان قدر أبي بكر الصديق رضى الله عنه . ومكانته من رسول الله ومنزلته التى منحها الله له . إذ فاز بشرف صحبة الرسول ، وأنزل الله سيرتها فى القرآن : —

«ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا »

هذا فوق جهاده فى سبيل الله بأمواله ، وجوده بما يملك لاعلاء الحق ، وإعلان الدين ، وما عرف عنه من إخلاص ، ووفاء لرسول الله ، فانه كان عزيز قومه ، وعظيمهم ، وغنيهم ، وأعلاهم قدراً ، وكان إسلامه من أول دلائل النصر المبين . فنال بذلك قلب الرسول ، فعظمه وكرمه وقربه منه ، وأوثق رباط تلك المكانة العظيمة والمنزلة السامية برباط المصاهرة ، فتزوج من ابنته عائشة رضوان الله عليها ، ومن عرف تاريخ «هذه الحميراء» التى قيل عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» وعلم بمكانتها وتمكنها من الفقه فى الاسلام ، والأدب والحكمة تحقق حكمة الله السامية فى زواجها من رسول الله ، لأنها كانت بحر علم زاخر ، وخزانة حكمة وتشريع . وقوة كامنة للاحتفاظ بسنة الرسول ، ونشر أحكام الدين

وكان هذا الزواج مدعاة لتنافس العشائر والقبائل لينالوا هذا الشرف :

فأذكى الغيرة فى قلوبهم . وتسابقوا إلى الاسلام، ولما أن عمرت نفوسهم بنور اليقين انقلبت غيرتهم حماساً دفع بهم إلى التنافس للفوز بنشر دين الله ، وهنالك أدركوا حكمة العزيز الحكيم بايجاد هذه الرابطة بين الرسول ، وكبار رجاله من المؤمنين ، وتكريم الصديق رضى الله عنه بهذا الشرف العظيم .

هذه حكمة الله فى زواج الرسول من عائشة فهو لتقوية حلقة الاتصال بين النبي وأنصاره ، ولما كانت عليه من عقل وذكاء لتعى التشريع . فتنقله إلى المؤمنين والمؤمنات وهى التى تزوجها بكراً عذراء فى جميع زوجاته .

سيرة زواج

السيدة حفصة

رضوان الله عليها

قارب الرسول صلى الله عليه وسلم الخامسة والخمسين من سنى حياته ، ولم يكن تشريع تعدد الزوجات . ولم يكن له من نسائه إلا عائشة رضوان الله عليها ، ولما نزل حكم الله بتشريع التعدد ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب قدأسلم ، وأعزالله الاسلام بايمانه . وكانت ابنته «حفصة» رضوان الله عليها متزوجة من خنيس بن حذافة . وهو من أشد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كبارالفوارس المقاتلين الذين ضربت الأمثال ببسالتهم . إذ سجل له التاريخ أنه كان فى موقعة بدر . كلما أصيب بجرح ضمده ، وعاد إلى القتال

حتى مزقت النبال جسده ، وخارت قواه ، فاستشهد فى سبيل الله ، وترملت زوجته حفصة ، وهى بدورها فى ميدان القتال . تسعف الجرحى ، وتضمد جراحهم ، وتروى بالماء غليلهم . وتؤاسى بطيب الكلم عليلهم ، ولزوجها من قلبها إخلاص الزوجة الصالحة . فحزنت لموته ، وأصابها الضعف والمرض فوالى رسول الله مواساتها . لمرضها وموت زوجها ، وتزوجها تكريما لها ، وإكراما لزوجها ، وتعويضاً عما أصابها ، ومكافأة لأبيها ، وتوثيقاً للرابطة معه . وللفاروق مكانته السامية بين قومه ، ولم تكن مع ضعفها ذات جمال ولا عذراء ناهدة . بل تزوجها ليعلم الناس رغبته فى إحكام أواصر الجامعة الاسلامية وتوثيقها باتصال زعماء المسلمين ، توحيداً للكلمة ، وتنظيما لصفوف المجاهدين ، كل هذه أدلة على زهده فى الدنيا ، وإعراضه عن متاعها ، ودأبه المتواصل فى خدمة الدين ، وهكذا أصبحت مكانة الصديق ، والفاروق من الرسول منزلة الوزيرين المؤمنين المخلصين .

هذا مثل صالح لحسن السياسة والدربة والكياسة بدا من الرسول النبي الامى صلوات الله عليه وسلامه

سيرة زواج السيدة

زينب بنت جحش

رضوان الله عليها

أشرنا إلى ماحدث فى عهد خديجة أم المؤمنين من شراء عبد رقيق اسمه «زيد بن حارثة» وماكان من تبنى الرسول له . وقلنا إن لهذا الحادث شأناً ، ولذا نقول : —

كانت العادة عند العرب : إذا تبنى الرجل فتى أو فتاة سمى دعيه أودعيته وجمع ذلك أدعياء ، وكان زيد بن حارثة دعى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن عاداتهم أيضا أن لايجعل للدعى المتبنى إلا حق المولى أو الأخ فى العشيرة ، وهم يرغبون عن اتصال الأدعياء بالعشيرة أو بنسبها . أو إعطائهم حقوق الأبناء فى النسب أوالميراث ، وفى ذلك مايشعرالأدعياء بمساس فى شعورهم وإيلام لنفوسهم ، فقدجاءالاسلام فوحد بين منازل أهله ، ولم يفرق بين عربى وأعجمى ، أو حر وعبد ، ولايرضى أن يشعر العبد بعبوديته والرقيق برقه ، وقد ساوى بين الجميع . والله سبحانه وتعالى يقول «إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ» لهذا أراد جلت قدرته أن يهدم تلك العادات ، ويوحد فى تشريعه بالمساواة بين الجميع ليبين أن الكبرياء والخيلاء من دلائل الشر والخضوع والتواضع من علائم الخير ، وإنما المؤمنون إخوة تجمع بينهم رابطة الايمان ، ودعامة الاسلام .

وكان للرسول عليه الصلاة والسلام ابنة عمته زينب بنت جحش عذراء

جميلة . فأوحى الله إليه أن يعتق دعيه زيداً ثم يزوجه من ابنة عمته زينب .
فقام الرسول بأمر ربه ، وأخبر زينب وأخاها عبد الله بن جحش بما أمر الله
به ، فرغبا عن هذا الزواج ، وشمخت زينب فى كبرياء وازورار ، وهى
الهاشمية القرشية ، وابنة عمة رسول الله . كيف بها تتزوج من عبد رقيق
مشترى بالمال ! وإن أعتقه الرسول ، وعظم عليها وأخيها الأمر ، وأبيا
أن يصاهرا زيداً .

فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية : —

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا . أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» .

فلما سمع عبد الله بن جحش وأخته زينب بالآية ، وعرفا أنهما المعنيان
بها ، أخذتهما الرهبة والخوف من غضب الله وخضعاً لأمره ، ورضخا لما
أشار به رسول الله وقبلا زواج زينب من زيد ، وقد تم ذلك .

أى إن زينباً التى كانت عذراء بكراً جميلة أمام أعين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولم ينظر إليها ، ولم يفكر فى زواجها وزوجها إلى دعيه «زيد
ابن حارثة» بناء على أمر ربه ، وقد رفضت فى أول الأمر . ثم رضخت بعد
نزول الآية إطاعة لأمر الله .

إلا أن زينباً شمخت على زيد وتعاظمت عليه ، وتشددت فى معاملته .
إلى حد كثر شكاويه منها إلى رسول الله ، وهو صلى الله عليه وسلم يدعوه
إلى الصبر والاناة ، ويهدىء من ثائرته حتى نزلت الآية الكريمة :

«وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ

اللهَ وتُخْفِي في نَفْسكَ مااللهُ مُبْدِيه ، وتَخْشَى النَّاسَ ، واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِنْهَا وطَراً . زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لايَكُونَ عَلَى المُؤْمنينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعيائِهِمْ . إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وطَراً ، وكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً» .

فلما تزايد تعاظمها عليه ونزلت الآية — وتفسيرها — وإذ تقول يامحمد لزيد الذى أنعم الله عليه بالاسلام . وأنعمت عليه بعتقك له وتبنيك إياه ، لاتطلق زوجك واحرص عليها واتق الله . ثم إنك يامحمد تحتفظ بأمر ربك الذى يبديه ، وتساير الحال إلى أن يحن وقت التنفيذ ، ولاتعلنه للناس منعاً من تقولاتهم وتخرصاتهم ، والله لايخاف شيئاً فهو يعلنه ، وأولى بك وأنت رسول الله أن لاتخاف ولاتخشى سواه . فلما تزوج زيد وعاشر زينباً ، وطلقها أمرناك أن تتزوجها . للحكمة التى يريدها الله ، وهى إبطال عادات العرب التى تمنع زواج المؤمنين من أزواج أدعيائهم بعد طلاقهن منهم . وكان أمر الله مفعولا لامرد له .

وكان هذا التشريع بعد نزول الآية الشريفه : —

«وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ . ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» .

وبعد أن نزلت الآية الكريمة :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ، وبَنَاتُكُمْ ، وأَخَوَاتُكُمْ ، وعَمَّاتُكُمْ ، وخَالاَتُكُمْ ، وبَنَاتُ الأَخِ ، وبَنَاتُ الأُخْتِ ، وأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وأَخَوَاتُكُمْ مِنَ

الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ، وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ . إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً»

فالأدعياء ليسوا كالأبناء الذين من الأصلاب ، وقد حرم الله زواج الآباء من زوجات أبنائهم الذين من أصلابهم كما حرم زواج الأبناء من أزواج آبائهم «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم»

فكانت حكمة الله السامية من زواج الرسول من زينب ، وهى ثيب تزوجها مولاه الذى أعتقه . ثم طلقها . هى المساواة فى الاسلام بين السيد والمسود ، والقول المأثور «الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصانى ولو كان أميراً قرشيا» . ثم القضاء على أعمال الجاهلية .

هذه هى قصة زينب بنت جحش : وقد أطلق أعداء الرسول لأنفسهم عنان الطعن والتجريح ، وأكثروا من أباطيلهم وأضاليلهم واتهموه بالشهوة والميل للنساء واللذة ، والحقيقة ظاهرة أعمتهم الأهواء والأغراض عن بحثها وإدراكها ، ولو أنهم فعلوا لتحققوا أن الرسول العربى الهاشمى القرشى ، وهو من أرسخ القبائل مجداً ، وأعظمهم حسباً . وأعلاهم نسبا ، وهو نبى الله إلى الناس كافة ، ماكان يرضى أن يزوج ابنة عمته بمالها من قرابة به صلى الله عليه وسلم ، وصلة به وبحسبه من عبد رقيق اشتراه بماله . ثم أعتقه لولا خضوعه لأمر ربه ومولاه ، وكيف يرضى أن يتزوجها من بعده ، وهو خادمه

ومولاه ، وكانت العرب يتزاحمن لينلن هذا الشرف العظيم .

ومن ناحية أخرى :

لولا إرادة الله لوضع هذا التشريع الخاص بالأدعياء ، ومنع إساءة معاملتهم . لما تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيداً ، وكان أولى به أن يتبنى من أبناء العشائر والقبائل من يتفق مع حسبه ونسبه عليه الصلاة والسلام . وأيضاً ماذا كان يمنعه من زواجها ، وقد كانت عذراء ناهدة ، وقبل أن يعاشرها عبده ومولاه ، وليست العذراء البكر كالثيب . هذا فوق أن الدليل الواضح على أنه صلى الله عليه وسلم كان منفذا لأمر ربه ، هو أن زيداً قاسى من معاملة زينب له ما كان يجأر به للرسول من الشكوى منها ، فاذا كان يميل إليها أو يهواها كما يفترى المضللون ، وكان الاحرى به أن يقول لزيد: طلقها وتخلص منها . لايقول له « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ » أوكان يتخذ شكواه له منها تكأة لنيل غرضه والوصول إلى غايته ، ولكنه على الضد كان يسترضيه ويطيب خاطره ، ويطلب منه التؤدة والتمهل ويقول له «وَاتَّقِ اللّٰهَ»

غير ذلك : كان تعدد الزوجات شائعا بين العرب قبل رسالته عليه الصلاة والسلام كما ذكرنا ، وتزوج السيدة خديجة فى سن الشباب والفتوة ، وهى تفوقه فى العمر ، ولم تكن ابنة عمته بعيدة عنه فما الذى منعه من زواجها قبل مشترى زيد وقبل تبنيه وقبل عتقه ؟؟؟ . اللهم إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

إن هؤلاء الخراصين الذين يتقولون على الرسول ليس فى مكابرتهم

إلامايرد كيدهم فى نحورهم ، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وليعلموا أن الله الذى يخاطبه عليه الصلاة والسلام بقوله : —

«وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» .

وهذا مايرفع قدره . حيث انه صلى الله عليه وسلم وهو نبى الله فانه إنسان بشر ، له نفس حساسة تشعر وتدرك . وله من قومه خصوم يتربصون به الوقيعة . فكيف به يتزوج من امرأة كانت تحت خادم له ، وماذا يبعده عن تعييرهم له وتشهيرهم به ، وماذا يتقولونه عليه بعد هدمه ، ومخالفته لعاداتهم ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خضوعا لأمر ربه لايقف عند حد هذا التفكير ، والله قد أمره ، وهو جل وعلا أحق أن يخشاه ، وفى ذلك كله غاية التقدير من ربه له ، وفيه الاشارة إلى إطاعته وتنفيذ أوامره ، حتى يتم مايريده الله من التشريع وقد شهد الله له فى كتابه العزيز : —

«مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى ، وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى»

هذه هى قصة زينب على حقيقتها من غير تحوير أو تبديل ، فاعتبروا ياأولى الألباب .

وهى ظاهرة أن الله أمر رسوله بشراء زيد ثم ألهمه عليه الصلاة والسلام أن يتبناه بعد عتقه ثم أمره أن يزوجه من زينب وقد أعلمه أنها ستطلق منه ليتزوجها النبى الأمين حتى يساوى بين المسلمين سادتهم ومواليهم ويؤلف بين قلوبهم

سيرة زواج السيدة

زينب بنت خزيمـــة

رضوان الله عليها

حفظ التاريخ للمجاهـدين فى سبيل الله عظمة استبسالهم فى موقعة بدر . وسجل لهم مالاقوه من الأهوال لنشر الاسلام ورفع رايته . وقد شهد لهم الأعداء قبل الأصـدقاء بالشجاعة والفروسـية ، وكان من بين أبطال هذه الموقعة الأفذاذ . المبرزين: البطل المقـدام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقدأبلى بلاء حسناء ، وصمد للأعداء حتىاستشهد فى سبيلالله ، وكانت زوجته زينب بنت خزيمة من فضليات المؤمنات لم تترك ميدان القتال لحظة ، وهى تقوم بواجب الانسانية . من تضميد الجراح وإسعاف المرضى ، ومواساة المجاهدين . فلم يلهها موت زوجها واستشهاده عن الاستمرار فىعملها إلى أن كتب الله النصر للمؤمنين ، وكانت على مقربة من الستين من عمرها وليس لهـا من يعولها بعد فقد زوجها . ولمـا علم بأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم آواها إليـه ، وتزوج منها جبراً لخاطرها ، ومكافأة لزوجها ، وتقديراً لعملها المجيد ، ولم تعمر غير عامين بعد حتى توفاها الله وأسكنها فسيح جناته

سيرة زواج السيدة

هنـــــــد بنت أبى أمية

الشهيرة بأم سلمة ، رضوان الله عليها

كذلك سجل التاريخ للمجاهدين مفاخرهم فى موقعة أحد، وضربت الأمثال بثباتهم ، وقوة جلدهم ، ومغامرتهم وبيعهم الأرواح فى سبيل مرضاة الله بغير ثمن ، ولو تمشدق المتمدينون بصفات نسائهم ، ونسبوا إليهن العجائب وكن عندهم رسل الرحمة ، فأولى بالمسلمين أن يفاخروا بنساء العرب فى عهد الرسول والعهود الزاهرة للاسلام فقد كانت من شهيرات النساء اللاتى قمن بواجب الانسانية فى موقعة أحد السيدة «هند بنت أبى أمية الشهيرة بأم سلمة» إذ كانت من العاملات وراء صفوف المجاهدين . تحرضهم على القتال ، وتبعث فيهم روح الحماسة والاستبسال ، وتسعف الجرحى والمصابين ، وتهيء الطعام والزاد للمقاتلين ، كما أنها رافقت زوجها عبد الله بن عبد الأسد فى هجرته إلى الحبشة قبل موقعة أحد ولاقت معه هناك شدائد وأهوالا ، وفى موقعة أحد أبلى عبد الله بلاء حسنا حتى أصيب بجراح دامية ، ولما أن عوفى منها عقد له الرسول صلى الله عليه وسلم لواء قتال بنى أسد فقاتل جهاد المستميتين ، حتى عاودته جراحه واشتد ألمه ولزم فراشه . فعاده الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يحتضر ، ومكث بجواره حتى أغمض عينيه بيده الشريفة ودعا له بالجنة ثم عزى أم سلمة وواساها وربت على أكتاف أولادها العديدين .

والمشهور عنها : أنها كانت قد سمعت عن رسول الله يقول «مَامِنْ مُسْلِمٍ

تُصيبه مُصيبةٌ فيسترْجِع فيقولُ : اللّهمّ أجرْنى فى مُصيبتِى ، وَاخْلفْنِى خَيْراً مِنْها إلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خيراً منْهاَ»

وداومت على هذا الدعاء حتى استشهد زوجها ، وكانت بعد استشهاد زوجها تدعو به صباح مساء تسائل نفسها : من هو الذى سيكون خيراً من أبى سلمة . وهو رجل نال صحبة الرسول . وهاجر إلى الحبشة ، وشهد المشاهد كلها وأغمض الرسول صلى الله عليه وسلم عينيه بيده الشريفة ، ودعا له بالجنة ؟؟؟ واستمرت على دعائها ، وما انقضت أربعة أشهر على وفاة زوجها والرسول مشفق على أولادها وقلة من يعولهم . فدعاها إليه ، وطيب خاطرها ، وتزوج منها ، ليعول أولادها ،ويكفلهم . جزاء لحسن عملها ، ووفاء لاخلاصها ، ومتين إيمانها .

أليس هذا دليلا على النبل . وسمو القصد ، والبعد عن الدنيا ، والزهد فى متاعها ؟ هذا هو المثل الأعلا للشهامة ، والهمة والنجدة ، والمروءة ، وما كان أغناه عليه الصلاة والسلام . عن تحمل المسئولية ليعول أولاداً غير أبنائه . ويقوم بتربيتهم ، وقد تجاوزت أمهم الستين من عمرها ؟ . وعنده الكواعب الأتراب ، والناهدات الأبكار . إن كان يرغب فى الشهوة واللذة ! !

إن حكمة الله الذى يوحى إليه صلى الله عليه وسلم بأمره . كانت بارزة فيما ظهر عن هاته المتكهلات من أزواج الرسول أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، وقد كن رسل الدعاية ، وأعلام الهداية ، ونشر أحكام الدين بين نساء المؤمنين . فيما يختص بالزوجات ، والأمهات ؛ والمرضعات ، والمطلقات وفى جميع تطورات الحياة للفتاة والمرأة . مثل الطهارة ، والوضوء والغسل

والمحيض ، والنفاس . والولادة . والرضاعة ، وغير ذلك من كثير الأمور التى لم يكن الرجال يستطيعون نشرها ، وتعليمها للنساء ، وكبيرات السن أوسع صدراً ، وأكثر أناة للشرح والتفصيل ، وهذه هى إرادة الله العزيز الحكيم ، وكفى بموقف السيدة عائشة رضوان الله عليها دليلا على ماوعته عن رسول الله فى كثير من التشريع ، وما كان لها فضل إثباته عنه عليه الصلاة والسلام ، وكذلك شأن السيدة أم سلمة مع نساء عشيرتها وقبيلتها وغيرهن

سيرة زواج السيدة

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان

رضوان الله عليها

فى سيرة السيدة أم حبيبة مثل يجعل الجاحد الحقود المتعنت يخر لله ساجداً . أمام هذا التشريع الالهىٰ الذى ملأ قلوب المؤمنين والمؤمنات يقيناً بفضل الله ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ؛ وإنهم كانوا يبيعون أنفسهم رخيصة بغير ثمن فى سبيل مرضاة الله ، وتعزيز رسوله الأمين ، ويقف الرسول على جهودهم وجهادهم وتضحيتهم ، فيحمد لهم عملهم ؛ ويعوضهم خيراً بفضله ، وهمته ومروءته ونجدته ، وذلك أن السيدة أم حبيبة تزوجت من عبيد الله بن جحش ، وكان قد أسلم وهاجرت معه إلى الحبشة ، وفيها ارتد عن دينه واعتنق النصرانية ومات عليها وكانت قد هجرته زوجته ورغبت عنه ونبذته ، وهى غريبة عن بلادها . وقد تبرأت منه وما لانت إلى توسلاته ؛

فحرمت هنالك من المعين والنصـير . وتمسكت باسلامها ، وقاست شدائد ، ولاقت متاعب وصعائب حتى عادت إلى المدينـة ، وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها أبوها أبوسفيان ، وهو من ألد أعداء الرسول ، فرغبت عن لقاء أبيها ، وأقبلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولايفوتنا أن نذكر أنه حين علم صلى الله عليه وسلم بمـا جرى من زوجها وتمسكها بايمـانها بعث إلى ملك الحبشة يعلنـه بخطوبتها لنفسه الشريفـة حتى لا يمسها بسوء ، وحتى تحفظ كرامتها . ثم ليعرف أنها وهى خطيبة الرسول تـكون أولى بالرعاية والعناية بها .

فلما قابلت النبي بعدعودتها آواها إليه وهى ابنة عمه «أبى سفيان» وأكبر فيها قوة اليقين وشـدة الايمـان وتمسكها بالاسلام ولذلك كله ، وتقديرا لموقفها الشريف ، ومكافأة لها عرض عليها زواجه منها فقبلت وكانت قاربت الستين من عمرها .

ويحفظ لهـا التاريخ : أنها بعـد أن نالت شرف زواجها من الرسول . وفازت بحفظ إيمـانها ، وكمال يقينها وتشرفت بفضل الهجرة . وأتم الله أنعمه عليها . قدم إليها أبوها فى أحد الأيام ، وأقبل عليها ليـدعوها إلى الـكفر ، ويغريها إلى الردة . فدخل بيتها ، ولمـا رغب فى الجلوس على فراشها ، طوته ومنعت يده من لمسه ، أو الاقتراب منه ، فاشتد غضبه وقال لهـا : أراغبة بهذا الفراش بابنية عنى ؟ أم بى عنه ؟ فأجابته على الفور : به عنك . لأنه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل نجس غير مؤمن . فغضب عليها وقال : لقد أصابك بعدى شر . فقالت له : لا والله بل خير

علم الناس ذلك عنها . فارتفعت بين المؤمنين مكانتها ، وعظم فى المؤمنات قدرها . ولاغرو فهى من أمهات المؤمنين . وكلهن المثل الأعلى فى الايمان وحسن اليقين . ليس بعجيب أومستغرب هذا فان نور اليقين حال بين قلب الابنة المؤمنة والأب المشرك ، وعمر قلبها . بالشجاعة . والجرأة ، فلم تخش سطوة أبيها ، ولم تخف غضبه . فألقت عليه درساً ، دك قواه ، وهد حدته ، وهدم شدته ، فكانت مهيبة الجانب ، أرهبته بقوة اليقين وردته بالفشل والخسران المبين ، وما كان من زواج رسول الله منها إلا تقديراً لفضلها ونجاتها من شر أبيها ، لا رغبة فى اللذة والمتعة .

سيدة زواج السيدة

ميمونة بنت الحرث الهلالية

رضوان الله عليها

كانت واقعة تبوك ، وبطلها سيف الله القاطع خالد بن الوليد ، المجاهد فى سبيل الله ، ورافع لواء النصر وعنوان الفروسية والشجاعة ، وسداد الرأى وحسن التدبير ، وكانت خالته السيدة ميمونة بنت الحرث الهلالية ، بين صفوف المجاهدين تقوم بواجبها الانسانى ، وقد ترملت من زوجها ، والمعروف عنها أنها أول من ألف فرقة نسائية لاسعاف الجرحى والمرضى والقيام بواجبات المجاهدين ، وأنها وهى تحمل الماء لاسعاف الجرحى أصابها سهم كاد يقتلها ، ولما وضعت الحرب أوزارها ، وأصبحت لاعائل لها ولا معين ، وابن أختها بعيد عنها فى جهاده الدائم المستمر ، سمع بأمرها رسول الله فآواها إليه وتزوج منها ، وقد زادت عن الستين من عمرها ، إكراما لها ، وجبراً لخاطرها ، وترغيباً لقومها . الذين أكبروا هذا الفضل والمروءة فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا وأحسنوا إسلامهم وداموا على مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

سـيرة زواج

السيدة جويرية بنت الحرث

رضوان الله عليها

ضرب الرسول المثل الأعلا فى المروءة والفضل مع السيدة جويرية بنت الحرث وهى سيدة قومها وابنة سيدهم وهم بنو المصطلق . فقد كانت موقعة بنى المصطلق يتولى قيادة القوم « مسافع بن صفوان المصطلق » وقد أشرب قلبه بعداوة الرسول إذ كان من ألد أعداء الاسلام ، وأشدهم إيذاءاً للمسلمين وأقساهم عليهم قلباً ، وقد هد الله كيانه ، وهدم بنيـانه فى يوم «المريسيع» حيث مات كافراً . وقد وقعت فى الأسر زوجته السيدة جويرية بنت الحرث وهى كما سبق سيدة قومها . فعلم بأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر باعزازها ، وتكريمها وحسن معاملتها ، ثم أعتقها ، فعظم الأمر عندها ، وقدرت هذا الفضل العظيم ، وتقدمت إلى الرسول . وأعلنت إسلامها وجميع قومها ، فحذا المجـاهدون حذو النبى وأعتقوا أساراهم فقـدرت هذا الصنيع الجميل ، وتزوجت من رسول الله صلى الله عليه وسـلم . وصاروا من أشد أنصاره ومؤازريه ، فدخل قومها وأنصارها فى دين الله أفواجا ، وتم ما أراده عليه الصلاة والسلام . من انضمامهم إليـه ، وكانت السيدة جويرية تقارب الستين من عمرها .

يعجز الكاتب عن تـكييف هذه التصرفات ، إلا إذا عمر قلبه بالايمـان وقاتل شيطان الغرض ، وأضاء الله بصيرته ، فانه إذا قدر تصرفات الرسول

الأمين . تحقق أنه صلى الله عليه وسلم كان هدفا للتضحية ، ومثالا للزهد فى الدنيا ، والبعد عن اللذات ، لا يهمه إلا نشر دعوته ، ورفع لواء الاسلام ، وكان القدوة الحسنة لأمته فان عمل المجاهدين بتقليدهم له فى عتق أساراهم ، وقع فى نفوس الأعداء موقع التقدير ، وقد رفعت الغشاوة عن أعينهم فآمنوا بالله ورسوله . وانقلب عداؤهم له ولاء ، وخصامهم معهم وفاقا . ووفاءاً ، وبغضهم له محبة ، وله مودة . ثم كانت أعمالهم خدمة الدين اللذين باعوا أنفسهم رخيصة فى سبيل إعلاء شأنه ونشر تعاليمه .

سيرة زواج
السيدة صفية بنت حي
رضوان الله عليها

من أول عهد الرسالة ، واليهود لا يفترون عن نصب شباك الشر ، وأحابيل الضرر للرسول ، وقد كمنت عداوتهم فى نفوسهم ، يبدون منها الكثير فى بعض المواقع التى لم يكن النصر مؤازراً المسلمين فيها ، إلى أن كانت معركة خيبر ، وقد برز فيها بنو النضير ، وثارت ثأرة اليهود : واشتد حماسهم وكان على رأسهم سيد قبيلتهم حي بن أخطب ، وله ابنته صفية بنت حي تفوز بزعامة قومها ، وإكبارهم وإعزازهم لها : ولها مكانة عالية عندهم ، وكلمة مسموعة فيهم . وهى متزوجة من — اسلام ابن مشكم القرظى — ولما اشتد

القتال ، وحمى وطيس النزال . كان «حيي» يتقدم المقاتلين من قومه ، ويحضهم على الاقدام ويحرضهم على القتال ، وكان يذكى فى نفوسهم جذوة الانتقام من المسلمين فأهلكه الله ومات ومعه كثيرون من بنى قريظة ، ودامت موقعة خيبر ، غير أن «إسلام ابن مشكم» زوج السيدة صفية كان قد هجرها ، بعد موت أبيها ، فتزوجها من بعده — كنانة ابن أبى الحقيق — فقتل كنانة أيضا وتم النصر للمسلمين ، فأسروا الكثير من المقاتلين ونساءهم ، ومن بين الأسارى السيدة «صفية بنت حيي» ، وكانت شديدة الانتصار لقومها تحرضهم على مقاتلة المسلمين ، ولم تتوان فى تجهيز موتاهم حتى لا يعبث بها المجاهدون فلما علم الرسول عليه الصلاة والسلام بأسرها . أعتقها فى الحال . فقابلت مكارمه باسلامها ، وتقدمت تمد يدها إليه تطلب زواجها منه ، وقد تبعها قومها فأسلموا جميعهم فأجاب طلبها وتزوجها ، وهى مكتهلة تزوجت باثنين من قبله ، ولكنه أكبر عملها فكافأها بقبوله زواجها ، وكف اليهود أيديهم عن إيذاء المسلمين بسبب ذلك ، وامتنعت علانية دسائسهم ، وأحبطت حبائل مكرهم . إذ كانوا لا ينفكون عن تحريض القبائل ، ودس الخرافات والخزعبلات . وما يظنون به إفساد عقائد المسلمين ، وهذه آثارها باقية إلى الآن فى البدع والدخائل .

وهذه هى آخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ،

أما مارية القبطية : فقد أهداها إليه المقوقس ورزق منها بولده إبراهيم ، وقد توفى قبل رفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلا .

ثم نزلت الآية الكريمة :

«لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا مَامَلَكَتْ يَمِينُكَ، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً»

فلم يتزوج بعد من ذكرن، وقام بأمر ربه، وكلهن كما توضح كبيرات السن، وهو عليه الصلاة والسلام أولى بالاستمتاع بعد جهاد وجلاد وقتال دام من يوم رسالته إلى يوم وفاته، ولكن قلبا غمره الله وشغله عن الدنيا وزخرفها. وزهده فيها ومتاعها، ورغبة فى الانقطاع لنشر دعوته وإعلاء شأن دينه، حرى أن يلقى الله آمناً مطمئناً بعيداً عن الشهوة العارضة، واللذة الزائلة

لقد جعلت رسالتى فى سرد قصص أزواج النبى عليه الصلاة والسلام، لا رغبة فى دحض مفتريات الدساسين فحسب، ولا دفاعا عن هذا الرسول الأمين، لأن أعماله وأفعاله. هى التى تنطق بفضله ونبله، ولكنى أرجو أن ترفع الغشاوة عن أعين أعدائه الجاحدين، وخصومه الماكرين المضللين

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»

ولو وعى أعداء الرسول ما كانت عليه قبائل العرب من تبرج النساء، وخروجهن سافرات. لا يتورعن عن إبداء زينتهن وإظهار جمالهن لغير أزواجهن. أدركوا أنه لم يكن عسيراً على الرسول اختيار من تصبو إليها

نفسه وكان تعدد النساء مباحا . ولكنه بعيد عن الشهوات ، وما كان زواجه إلا لحكم أرادها الله وأعلن بها فى كتابه العزيز حين خاطبه فى شأن أزواجه :

«يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ . وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ . وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا ، نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ، يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ . فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا»

«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ، وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»

« وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ . إِنَّ اللهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا» .

فهل تحقق أعداء الرسول بعد هذا كله أن الله جلت مشيئته أراد أن يزوجه بأمهات المؤمنين المتهكلات ليذكرن بين الأهل والأقارب ، والقبائل والعشائر مايتلى فى بيوتهن من آيات الله وأوامره وتشريعه وحكمه لنشر تعاليم دين الله . وإيجاد الحرية فى المباحثة والمناقشة ؟ ؟

اللهم انه الحق وقد أظهرته ، والصدق وقد أعلنته ، والواقع وقد أوضحته لعل المتبجحين يقفون عند حدهم . ويتوبون إلى ربهم ، ويرجعون عن ضلالهم «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»

اللهم إن القوم قد ضلوا وأضلوا فاهدهم إلى صراطك المستقيم ، اللهم إنى أسألك الهداية والتوفيق ، وامنحنى عفوك ورضاك . واغفر لى ما بدر منى من هفوة أو تقصير ، أو خطأ أو زلل فان نيتى لك خالصة . وإنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانواه . ولاحول ولاقوة إلا بالله .

اللهم اهد قومى فانهم بك يؤمنون ، ولأمرك طائعون ، ولنبيك مخلصون اللهم إن أغضيت عن زللى ، وغفرت لى خطئى ، وقبلت عملى . فقد جمعتنى معهم على الحق ، وألفت بين قلوبنا على الصدق وأنت أصدق القائلين — «قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا»

والحمد لله رب العالمين ؟

أسعد لطفى حسن

تفسير الآيات القرآنيــــة

ومعـانى الكلمات

أريد أن أمكن القارىء من تفهم ماأوردته من الآيات القرآنية الكريمة حتى أصل الى ما أرجوه من خير . ولذلك سأضع تفسيرها بما يوصل إلى ذلك . والله الهادى إلى سواء السبيل .

تفسير الآية صحيفة ٢٣ من الآية الأولى فى سورة النساء :

«ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ، وآتوا اليتامى أموالهم ، ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ، وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا»

يخاطب الله عباده وقد أوجدهم فى الحياة الدنيا من نسل فرد واحد آدم عليه السلام . خلق منه زوجه ومنها تناسل جميع الخلائق من الرجال الكثيرين والنساء الكثيرات . وأمام هذه القدرة الخارقة يأمرهم أن يتقوا عقابه ويخشوا غضبه ، فانه الاله الذى يسأل بعضكم بعضاً باسمه الكريم وقدسه العظيم . ويأمرهم بتقوى الأرحام وصلتهم والعطف عليهم وهى الصلات المكينة فى القرابة والنسب . ثم يقول لهم تذكرة لشدة تقواه وخشية عقابه انه يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور فهو رقيب عليهم . كما أمرهم بالمحافظة على أموال

اليتامى وردها اليهم . وعدم النظر اليها والطمع فيها بأخذ النافع منها لأنفسهم ورد مالا ينفع اليهم كما أنه لا يجوز ضم أموال اليتامى الى أموال الأوصياء أو القوام لأن فى ذلك الاثم العظيم . وإذا خشيتم أن لا تستطيعوا أن تقوموا بالقسط فى تصرفاتكم مع اليتامى . فتزوجوا من النساء اثنين . أو ثلاثا . أو أربعاً بالاشتراطات التى أمر بها وشدد فى اتباعها فاذا وجدتم من أنفسكم العجز والضعف وعدم استطاعة تنفيذ ماقيد الله به هذه الاباحة فلا تتزوجوا إلا واحـــدة

الغريب من الكلمات : بث فيهما ، أى : نشر . حوبا : إثمـا أو ظلما

تفسير الآية الثانية صحيفة ٢٣ أيضاً الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

يخاطب الله عباده : أنه بقدرته الربانية وعظمته الالهية خلقهم من ذكر وأنثى ، وجعل من تناسلهما أمم العالم ودوله وشعوبها وقبائلها . وذلك ليعمر الكون بتعارف الناس وتعاونهم فى هذه الحياة . ثم أرشدهم إلى أن التفاضل بينهم مع اتحاد أصلهم لا يكون إلا بتقوى الله ، والتفاوت فيها وأنه سبحانه عليم بقلوب عباده خبير بأعمالهم فيجازيهم على حسب ما يعلم .

تفسير الآية صحيفة ٢٦ من الآية الرابعة من سورة النور

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم . والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم»

الذين يتهمون النساء المتزوجات ولم يستطيعوا إقامة الدليل القاطع على صحة أقوالهم وهو إقرار أربعة شهود من الرجال فعقابهم الذى حدده الله ، أن يجلدوا ثمانين جلدة . وبما أنه قد تبين كذبهم وافتراؤهم فلا تقبل منهم شهادات أبداً لأنهم كاذبون . وقد أفسح الله جلت قدرته واسع رحمته لمن يدرك حرج موقفه ، ويقدر شناعة عمله ، فيرجع إلى ربه طائعاً مختارا . ويتوب عما كان منه توبة نصوحا باصلاح ما كان منه فينال عفو ربه الكريم ، وعظيم غفرانه وكبير رحمته . والذين يتهمون أزواجهم بالخيانة ولم يستطيعوا البرهان والتدليل إلا بأنفسهم شخصياً . فعليه أن يكرر شهادته أربع مرات تأكيدا وتثبيتاً لصحة ادعائه وهو أن يقسم بالله انه لصادق فى قوله . ثم يقسم أن عليه لعنة الله ان كان مفتريا غير صادق . وقبل البت فى أمرها وتقدير عقوبتها لما اتهمت به من الخيانة أن تقسم بالله أربع مرات انها بريئة مما اتهمت وأن زوجها من الكاذبين . ثم تؤكد إقرارها بأنها تستحق غضب الله ان كان

زوجها من الصادقين وهذا التشريع العظيم من فضل الله ورحمته حتى لا تسود الفحشاء ، وحتى يعيش الناس فى واسع كرم مولاهم يتحلون بالفضائل ولهم من فضله أن يقبلهم إذا رجعوا إلى حظيرة قدسيته الصمدانية تائبين قانتين لوجهه الكريم.

الغريب من الكلمات : المحصنات : الحرائر المتزوجات .

تفسير الآية الثانية صحيفة ٢٦ الآية الأولى من سورة النور .

«الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين»

العقاب الذى قرره الله وهو أحكم الحاكمين . لمن ضاع عقله . وضل صوابه . وارتكب جريمة الزنا الشنعاء هو جلد الزانى والزانية كل واحد منهما مائة جلدة بالشدة القصوى . والنقمة المتناهية . انتقاما منهما لما عملاه مخالفاً لدين الله الذى أمر بالتقوى ، والمحافظة على الأعراض والفضيلة . ولا يصح لمن يقوموا بتوقيع العقوبة أن يخفف العقاب أو يشفق عليهما ما داموا يعلمون فظاعة الجريمة . وما داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر . ويشترط أن تكون العقوبة علنية يشهدها الناس من المؤمنين . ليكون فى ذلك عبرة وعظة وتذكرة وقد عاقبهما أدبياً بعد العقاب المادى فحرم على الزانى زواج المؤمنات

لأنه خالف أمر ربه وأصبح فى عداد المشركين فلا يتزوج إلا من مشركة

وحرم على الزانية الزواج بالمؤمنين فلا يتزوجها مؤمن بل تتزوج من مشرك . وزواجهما حرام من المؤمنين

الألفاظ : المشرك من أشرك مع الله إلهاً آخر

تفسير الآية صحيفة ٥٧ — :

ورد تفسيرها فى تفسير صحيفة ٢٣ — فليرجع اليه

تفسير الآية الثانية صحيفة ٥٧ — : الآية المائة وثلاثون فى سورة النساء

«وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم»

يقول الله جل وعلا — : وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة — وهو كما قلنا عليم فى أزليته فقال — :

«ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم . فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما»

أى انه لا يمكن أن تقوموا بما أمر الله — بالقسط فى المعاملة بين الأزواج . وعدم المفاضلة بينهن ، واكرام واحدة عن الأخرى . مهما بلغ الحذر والحيطة ومهما حرص الزوج على تنفيذ هذا العهد الوثيق بين أزواجه وعليه أن يتمسك بحدود الله فلا ينفر من التى لم تفز بعدله فينصرف عنها

ويتركها لاهى كالأيم الغير متزوجة ولا كالمتزوجة وهـذا هو معنى المعلقة . والأولى أن تصلحوا ذات بينكما وتتقوا الله وتقوموا بمـا أمركم به وتقتصروا على زواجٍ واحدة فقط لأنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر لهم أخطاءهم ما لم يتعدوا حدوده وهو رحيم بهم —

الألفاظ : تقسطوا : تنصفوا وتعـدلوا بينهن بالقسط

الألفاظ ـ تميلوا كل الميل : تنحرفوا عن جادة الصواب والحق كالمعلقة أى بين هذا وذاك

تفسير الآية صحيفة ٥٨ ـ :

«ومن يعص الله ورسوله . ويتعـد حدوده يدخله نارا خالدافيها وله عذاب مهين»

الآية صريحة جدا : ذلك أن الله أوضح الطريق للناس : وبين الخير من الشر . والنافع من الضار . وحدد الأجر للعاملين . وبين العقوبة للآثمين . فمن عصاه وعمل بمـا نهاه وفسره الرسول الأمين فعقابه أن يدخله نار جهنم خالدا مخلدا فيها وفى ذلك أشد العذاب وأقساه والاهانة الدائمه وقانا الله شر ذلك .

الألفاظ : حدوده . ما أمره به وحدده حتى لا يخرج عنه

تفسير الآية صحيفة ٥٩ ـ الآية السابعة من سورة النساء

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون»

ليس فى دين غير دين الاسلام تشريع التوريث وما فيه من حكمة ورحمة . مع الدقة التى يعجز عنها كبار الحاسبين. وقد وزع بالقسط بين الأزواج والأمهات والأولاد والوالدين والأقربين مما يخر الناس للاذقان سجدا اعترافا بقدرة الله العزيز الحكيم ولهذا قرر الحكم العدل أن ينال كل وارث نصيبه . كما جاء فى الآية الشريفة حتى لا ينظر محروم الى واحد من ذوى قرباه بعين الحقد والحسد :وحتى يتضامن أفراد العائلة من الأهلين والأقربين فى السراء والضراء . والله أحكم الحاكمين

تفسير الآية صحيفة ٦٠ الآية الخامسة والعشرون من سورة النساء

«ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض ، فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف ، محصنات غير مسافحات ، ولا متخذات أخدان . فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم»

من لم يكن منكم في سعة من الرزق وغنى يستطيع بهما زواج المؤمنات

الحرائر ، فعليه أن يتزوج من الفتيات الاماء المملوكات والله سبحانه وتعالى علام السرائر ، وما تخفيه الضمائر ، لأن الدين يجمع بين الحر والعبد لافرق بينهما فى المنزلة عند الله إلا بالتقوى . فتزوجوا الفتيات المؤمنات الأسارى ، وهن مسلمات باذن أهلهن وعن تراض واتفاق . وادفعوا لهن مهورهن كما تدفعون الى الحرائر . ولا تماطلونهن أولا تنقصونهن شيئاً من حقوقهن وهن يتمسكن بالعفةويبتعدن عنالزنا والخنا . ولا يتخذن أخلاء يؤاتوهن سراً . فاذا تم الزواج وحفظن فروجهن . وتحصن بالزواج . ثم ارتكبن الفاحشة وأتين الزنا فيعاقبن نصف عقاب الحرائر أى يجلدن خمسين جلدة . ويعاملن بما جاء خاصا بعقاب المحصنات فى اعتبارهن مشركات لايتزوجن إلا مشركين إلى آخر ماجاء من تلك الأحكام .

وهذا التشريع كله لمن خاف الزنا ووقوعه فى الآثامولم يملكسعة تمكنه من زواج الحرائر : والله سبحانه وتعالى يقول : إذا استطاع الانسانأن يحكم نفسه ويصبر قليلا عن زواج غير الحرائر : فهو خير له . واللهسبحانه وتعالى غفور رحيم

الألفاظ — طولا: سعة ، أوقدرة. المحصنات : الحرائر. مسافحات يأتين السفاح . أخدان : جمع خدن . وهو الخليل الذى يصاحب المرأة على غير رباط شرعى : العنت : الزنا ومعصية الله

تفسير الآية الثانية فى صحيفة ٦٠ ـ :

أرجو الرجوع اليه فى ذكر الآية المذكورة بصحيفة ٢٦

تفسير الآية فى صحيفة ٦٢ - :

أرجو الرجوع اليه فى ذكر الآية المذكورة بصحيفة ٢٦

تفسير الآية فى صحيفة ٦٤ - :

ورد تفسيرها فى صحيفة ٥٧ من الكتاب فليرجع اليه

تفسير الآية فى صحيفة ٦٥ - : الآية الرابعة والثلاثون من سورة النساء

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتى تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً»

الرجال لهم الولاية على النساء يراقبونهن ويراجعون أعمالهن . فان أحسن فيكرمونهن وان أسأن فيراجعونهن ، ويصلحون أعمالهن ، وإن تمادين فلهم عليهن سلطان القوامة فيؤدبونهن بالمعروف وذلك بما خصص الرجال به من الجهود الشاقة . والأعمال المضنية . والمتاعب القاسية فى سبيل اعالتهم لهن وقيامهم بواجباتهن ، فلهم الأفضلية فى ذلك عليهن حيث لم تكلف النساء بشىء من ذلك . فالنساء الصالحات العابدات القانتات يؤمن بحقوق أزواجهن . ويطعنهم ، ويحفظن فروجهن ويحافظن على عرضهن وكرامة أزواجهن وفى غيبتهم حسب أوامر الله : أما اللاتى يظهرن عصيانهن لأزواجهن ومشاكستهن

لهم ويتمردن عليهم ، فان الله يأمر بأخذهن بالملاينة والمهاودةوالموعظة فان أثمر ذلك كفى ، وان دام تمردهن على أزواجهن . فللزوج أن يهجر زوجته ولا ينام معها فى فراش واحد ويعتزلها مع العفة والعصمة : وعدم الكيد أو الاحراج . فان أطاعت فانتهى ، وان دام عنادها فليخوفها بالضرب البسيط الغير مبرح ، فاذا عاد اليها صوابها فلا يصح للرجل أن يغلظ معها القول . أو يوبخها ، أو يعيرها بل يلاطفها حتى تعود المياه بينهما الى حالتها الأولى والله سبحانه وتعالى مطلع فى عليائه ، وعليم بما عليه خلقه فليحذروه إذا خرجوا عن حدوده ، ولا يظلم الرجال النساء ويستضعفونهن

الألفاظ ـ قوامون ، مشرفون على أعمالهن ، ولهم حق إصلاحهن

النشوز : الخروج عن الطاعة ، والتمرد

تفسير الآية صحيفة ٦٦ ـ الآية الخامسة والثلاثون من سورة النساء

وإن خفتم شقاق بينهما . فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا »

إذا دب الخلاف بين الزوجين وأدى الى وجود شقاق بينهما فليرجع الى التحكيم وتكون هيئته من واحد ذكر من أهل الزوج ، وواحد آخر من أهل الزوجة ، أى من أقارب الاثنين ، فيستعرضان ملابسات الخلاف القائم بين الزوجين ويتباحثان باحسنى كل محكم مع موكله يبديان ما عندهما حتى يعمل الجميع الى الوفاق والوئام ، بازالة أسباب الخلاف ، ويحل الصفاء محل

الجفا . ويقف كل من الزوجين عندحده ، وفى ذلك يتفق الحكمان على التوفيق بأمر الله (والصلح خير) لأن الله عليم بالسرائر خبير بما فيه الخير والصلاح

الألفاظ : الحكم هو من يختار للفصل بين المتخاصمين ويرضيان بحكمه

تفسير الآية الثانية صحيفة ٦٦ — : الآية المائتان وستا وعشرون من سورة البقرة

«للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر . فان فاءوا فان الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ، والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ، إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ، إن أرادوا إصلاحا ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم»

للذين يحلفون على أزواجهم بأن لا يجامعوهن فعليهم أن ينتظروا أربعة أشهر بعد حلفهم . فاذا رجعوا عن يمينهم فى خلال الأربعة اشهر أو بعدها وعادوا الى وطء أزواجهم فلا حرج عليهم والله غفور رحيم . وإذا انتهت الأربعة أشهر ورغبوا فى الطلاق وأصروا عليه فالله يعلم سرهم ونجواهم . ومتى وقع الطلاق فالواجب على المطلقات أن لا يتزوجن وينتظرن بغير اقدام على الزواج مدة ثلاث حيضات ، أى يراعين موعد المحيض فى أول مرة بعد الطلاق حتى ينتهى . والمحيض الثانى حتى ينتهى . والمحيض الثالث حتى ينتهى فاذا ثبت أن المطلقة حاضت ثلاث حيضات متتابعات كان هذا دليلا على عدم

حملها والله سبحانه وتعالى يأمرها أن لا تكتم الحقيقة : ومن ثم يباح لها الزواج ، وهذا مايسمى بالعدة . وهى للاتى تمت معاشرتهن مع أزواجهن أما اللاتى لم يدخل بهن فلا عدة لهن . ولبعولتهن حق ردهن ، إذا تراضيا وتصالحا وأصلح ذات بينهما ، ولهن فى حالة الصلح كل ماكان من الحقوق قبل الطلاق . كما أن للرجال حقوقهم المشروعة من الاحترام والطاعة . وحسن المعاشرة ، والتضامن فى السراء والضراء ، لأنهم بفضل جهودهم وما يقومون به من المشقات لاطعام أزواجهم والانفاق عليهن يفضلنهن ، والعزة لله فيما قضى به ودبره ، وفى حكمته القدسية

الألفاظ ـ يؤلون ـ : الاسم الايلاء : ومعناه الحلف على عدم الجماع ، تربص ـ انتظار ـ فاءوا تريثوا وعدلوا عن رأيهم ـ قرء : وهو الحيض أو الطهر

تفسير الآية الثالثة صحيفة ٦٦ و ٦٧ ـ : الآية المائتان تسع وعشرون من سورة البقرة

«الطلاق مرتان . فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً . إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما ، فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»

تنفيذاً لحكمة الله السامية تكون إباحة التطليق ، أى الانفصال بين الزوجين مرتين . وذلك ليمكن المراجعة والصلح بينهما . ولذا يجب الوقوف

عندذلك على أن يتراجعا بالحسنى والمعروف وبغير إضرار أو انتقام. أو إعادتهن لأهليهن بغير إساءة أو إهانة لا يجب مطلقاً أن يؤخذ من الزوجة أى شىء من متاع، أو مال، أو حلى مما قدمه اليها زوجها إلا إذا تبين لهما أن كليهما يشاكسان بعضهما ويخرجان عن حدود الشرع. ويكون الواجب الاحتياط والحذر من الوقوع فيما ذكر، ولا حرج على الزوج إذا أخذ ما تقدمه الزوجة له من المال لتفتدى نفسها ويتم الطلاق. ولا حرج عليها فى ذلك أيضاً — هذه أوامر الله فلا تخرجوا عنها. ومن يخرج عنها ويتعداها فهو من الظالمين الذين يستحقون عذاب الله

فاذا انتهت مدة الطلاق فى المرتين. وكانا تراجعا ثم عادا الى الانفصال فطلقها الرجل، مرة ثالثة. فقد حرمت عليه حتى تتزوج من زوج آخر، لا بقصد التحايل للتراجع، بأن يعاشرها الزوج ليطلقها لتعود لزوجها الأول كلا وألف مرة كلا. فان الله يريد أنه إذا تزوجت المطلقة ثلاثا من زوج جديد، وحسنت معاشرتهما فلا مبرر لانفصالها. أما إذا لم تدم العشرة ودب الخلاف بينهما وانفصلا بالطلاق، فقد وجدت فرصة لتراجع الزوج الأول وتعود اليه. على أن يقيما حدود الله. ويتبعا ما أمر به وهذا هو بيان من الله للناس حتى لا يحرفون الكلم عن مواضعه ويعملون بأوامره

الألفاظ — إمساك: تمسك — تسريح: إطلاق الحرية

تفسير الآية صحيفة ٦٩ - : ٢٣١ و ٢٣٢ من سورة البقرة

«وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروف ، أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ، يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم»

وإذا طلقتم النساء وبلغن آخر عدتهن ، وانقضت مدة العدة . فعودا اليهن وراجعوهن من غير أذى أو ضرر ، أو اتركوهن حتى تنقضي مدة العدة ولا تحجزوهن وتمسكوا بهن للاضرار بهن لتنتقموا منهن ، لأن من لم يخش الله ويفعل ذلك فقد باء بالخسران ، وغضب الله عليه ، وظلم نفسه ، واستوجب لها العقاب . والله سبحانه وتعالى يذكرنا بفضله علينا ونعمته العظمى بأن هدانا للاسلام ، وأنزل على نبيه الامين القرآن ، وأوضح فيه أوامره ونواهيه وحكمته السامية فيما قرره وشرعه . رغبة فى إرشادنا الى الحق وخير الانسان فله الحمد جلت قدرته ، ولا يجب أن ننسى أنه يعلم دقائق الأمور وأصعبها لا يخفى عليه خافية

الألفاظ ـ ضراراً ـ للضرر بهن

ثم قال جل وعلا . فاذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، ووفين العدة ، فلا تمنعوهن عن النكاح والرجوع الى الحياة الزوجية . إذا اتفقا وتصالحا بالحسنى وحل الوئام محل الخصام . وهذا ما يريده الله ليفهمه الذى يخشون غضبه ويخافون عقابه ويؤمنون بالله واليوم الآخر . وعدم التعرض للمطلقات

ومنعهن من التراجع خير وأفضل ، وهو مما يبعد الظنون والريبة أو الشك إذا ، وجدت أية علاقة بينهما . والله يعلم وأنتم لا تعلمون

الألفاظ ـ تعضلوهن : تمنعونهن

تفسير الآية الأخيرة بصحيفة ٦٩ سورة الطلاق ـ :

«يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة . واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً»

«فاذا بلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف . وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً»

«واللائى يئسن من المحيض من نسائكم . إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر . واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا . ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً»

«أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم . ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن

وإن كن أولات حمل ، فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن . فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وائتمروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً»

يخاطب الله نبيه الكريم بقوله جل وعلا : إذا أردتم الطلاق فطلقوهن لوقت عدتهن وهو الطهر ، وأحصوا العدة وهى ثلاثة حيضات ، وأطيعوه واخشوا عذابه وعقابه . وحافظوا على أزواجكم فلاتخرجوهن قبل أن تنقضى عدتهن إلا إذا ارتكبن الفحشاء وهى الزنا فانهن يخرجن لاقامة الحد عليهن كما شرع الله من العقوبات للزانية والزانى . وهذه هى أوامر الله ونواهيه فلا تخرجوا عنها ، ومن خرج عنها استحق العقاب المهين . ثم يخاطب جل وعلا رسوله ، بأنه يجرى ما أرداه الله بعد ذلك من وفاق ووئام فيما إذا كان الطلاق لم يزد عن مرتين وفيه إباحة التراجع . فاذا قاربت مدة العدة فحافظوا عليهن ؛ وراجعوهن بوفاق ورضى . من غير أن تؤذونهن . أو إذا لم تراجعوهن ففارقوهن بالحسنى ، وفى الحالتين يسجل ماصممتم عليه بشهادة اثنين ممن تنطبق عليهم شروط الشهادة سواء فى ذلك التراجع أو الطلاق ، وذلك ما يجب أن يحققه كل من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وقد جعل الله للمتقين الذين يطيعونه ويقومون بأوامره ونواهيه أن يتولاهم بفضله ، وأن يفرج عنهم من كربات الدنيا ، ويرزقهم بما لم يخطر لهم على بال وما لم يجهدوا أنفسهم للحصول عليه ومن يفوض أمره لله لا بالتكاسل والتواكل على الناس . بل بالجد والاجتهاد والعمل الصالح فالله لا يضيع أجره ، ويكفيه بمعونته وانجاح سعيه ، لأنه جل .

وعلا قادر على كل شىء وهو المانح للرخاء والشدة ، والتيسير والتعسير يصرف كل شىء بما قدره وأراده ، وفى الوقت الذى حدده

والنساء اللاتى لم يأتهن المحيض بعد الطلاق ، إن شككتم فى صدقهن فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللاتى لم يحضن لصغر سنهن ، فعدتهن ثلاثة أشهر . وهذا التشريع فى الحالتين خاص بمن لم يمت أزواجهن . وبمن لسن حوامل أما من توفى أزواجهن فهن يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، كما سيأتى فى تفسير الآية الخاصة بذلك ـ أما المطلقات الحوامل فعدتهن لا تنقضى إلا بوضع حملهن . ومن يتق الله ويخشاه ويراقبه ، يسهل له أموره ، وييسرها فى الدنيا والآخرة . وهذا هو حكم الله وأمره جلت قدرته فى شأن العدة بينه للناس ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويضاعف له حسناته

أسكنوا المطلقات بعض مساكنكم من غير أن تضايقوهن ، فيضطررن الى الخروج للتخلص مما يعانين ، أو يطالبنكم بنفقة أو يفتدين حريتهن . وإن كن حاملات فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن . فان أرضعن أولادكم منهن . فأعطوهن أجر الرضاع ، واجتهدوا فى التوفيق بينكما بالمعروف . وإذا لم يكن فى وسعكم دفع أجرة الرضاع فعلى الأب أن يتدبر فى أمر ارضاع ولده . لأن الأم ليست مكرهة على الارضاع : وبذلك تقوم امرأة أخرى بارضاع المولود تحت إشراف والده ، ومن رحمة الله وكرمه وعظم فضله أنه كذلك لم يكره الأب على الانفاق على المطلقات أنفسهن ، أو إرضاع أولادهن إلا فى حدود الطاقة والاستطاعة ، أما فى حالة العسر والضيق . فلينفق على قدر وسعه مما أعطاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . سيجعل الله بعد عسر يسرا

الألفاظ ـ مخرجا . اعنى توفيقاً للخروج من المأزق ـ يحتسب : يحسب له حساباً ولم يخطر على باله ، حسبه : يتولاه ويكفيه مؤنة التدبير ـ من وجدكم أى سعتكم ، تعاسرتم : لم يتيسر لكم

تفسير الآية الثانية بصحيفة ٧١ وهى الآية ٢٣٣ من سورة البقرة ـ :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك » .

« فان أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور ، فلا جناح عليهما » .

وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ، فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » .

والوالدات يرضعن أولادهن عامين كاملين لازيادة عليهما لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له أى الأب إطعام الوالدات وكسوتهن إذا كن مطاقات بقدر طاقته وبما فى سعته ولا يكلف فوق قدرته . ولا يجب أن تكره الأم على إرضاع ولدها ، أو تؤذى إذا امتنعت عنه ، ولا يجب أن يكره الأب على ماليس فى مقدوره لارضاع ابنه . وإذا مات الأب وطفله رضيع فعلى من يقوم بالولاية عليه أن يقوم بما كان مفروضاً على الأب للأم بخصوص الارضاع وفى الحدود التى شرعها الله

فان أراد الوالدان فطام المولود قبل انقضاء العامين بعد اتفاق بينهما

وبحث فى مصلحته فلا حرج عليهما فى ذلك

ثم يقول الله جل وعلا مخاطباً الآباء إذا أردتم إرضاع أولادكم بمراضع غير أمهاتهم فلا حرج عليكم فى ذلك ، بشرط أن تدفعوا للمرضعات أجورهن بالحسنى ، وعن طيب خاطر ، واتقوا الله إن الله بما تعملون بصير . يعلم السر والنجوى

تفسير الآية صحيفة ٧٢ وهى الآية الـ ٢٣٤ من سورة البقرة

والذين يتوفون منكم ، ويذرون أزواجا ، يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير» .

«ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ، أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً ، إلا أن تقولوا قولا معروفا» .

«ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم» .

«لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ، أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره . متاعا بالمعروف . حقا على المحسنين» .

«وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن . وقد فرضتم لهن فريضة ، فنصف

ما فرضتم ، إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح . وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » .

والرجال الذين يموتون ويتركون أزواجا غير مطلقات منهم فعليهن أن لا يقدمن على الزواج من غير من مات ، وينتظرن أربعة أشهر قمرية وعشر ليالى بعد آخر الشهر الرابع . هذا فى غير الحوامل ، أما الحوامل : فالمفروض عليهن الانتظار حتى يضعن حملهن ، وبعد انقضاء العدة فى الحالتين فيباح لهن التجمل والاستعداد للزواج فى حدود العفة والشرف «والله عليم خبير» بكل شىء

ولا جناح عليكم إذا أشرتم أثناء عقد الزواج للمتوفى عنهن أزواجهن الى محاسن الزوجة ، أو جمالها أو قصدتم زواجكم بهن إن كان مستطاعا ، لأن الله عليم بالسرائر ، ولكن لا يجوز مطلقا أن تكون تلك الرغبة سرية على غير علم من أهلهن ولا بد أن تحاط بعدم الخروج عما شرعه الله جل وعلا

ولا يجوز عقد الزواج إلا بعد استيفاء ما حدده الشرع من تمام انقضاء العدة ، وما جاء مفصلا فى كتب الشريعة : ويتشدد الخالق جل وعلا فى الدقة لاتباع أمره ، لأنه وهو العليم بما فى الصدور ، والخبير بما تقوم عليه النوايا ، لا يتأخر عن صرامة العقاب لمن خالفه وعصاه : كما أنه غفور رحيم

ولا حرج عليكم إن طلقتم النساء مالم تجامعوهن أو تعطوهن مهراً ولا مسؤليه عليكم فى الطلاق . فطلقوهن ومتعوهن ، وأعطوهن ما فى وسعكم على المستطيع الموسر ما يتفق مع حاله ، وعلى الفقير المعسر مالا يرهقه

وإذا طلقتم النساء قبل أن تعاشروهن وتجامعوهن ، وقد دفعتم مهراً ، وتم عقد الزواج فعليكم أن تتجاوزوا لهن عن نصف المهر ، وتأخذوا النصف

الآخر ، فاذا زهدت الزوجة فيما نالته من نصف الصداق ، أو رغب الزوج عن كله وتركه لها ، فهذا مباح لهما ، ويشير جل وعلا الى أن كل اتفاق بالخير بينهما أحسن وأزكى . ولا يجب أن ينسوا أن الصلح خير ، وأن تفضيل بعضهم لبعض أقرب الى مرضاة الله ، لأنه مطلع على كل شيء

تفسير صحيفة ٧٢ وهى الآية ٢٣٨ من سورة البقرة

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »

احرصوا على أداء الصلوات الخمس المفروضة فى أوقاتها ، والصلاة الوسطى ، وهى : الظهر والعصر لأنهما فى وقت المشغولية بالأعمال الدنيوية وإياكم أن تتهاونوا ، وقوموا بأداء ذلك لله خاشعين طائعين ، فان خشيتم وقت أداء الصلاه أن يهاجمكم عدو أو وحش ، أو سيل من الماء ، فأدوا الصلاة راجلين أى مشاة ، أو راكبين على ظهور الخيل أو ما سواها . فاذا اطمأننتم من الخوف فأدوا الصلاة بأركانها كما علمكم الله

تفسير الآية صحيفة ٧٣ وهى الآية ٢٤٠ من سورة البقرة

والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ، وصية لأزواجهم ، متاعا إلى الحول غير إخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من